جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات الأدبية والنقدية
تخصص: نقد حديث ومعاصر

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في اللغة العربية وآدابها

تحت عنوان:

الأسلوب السردي في قصة سيدنا يوسف عليه السلام

إعداد الطالبة:
– منور سهيلة

إشراف الأستاذة:
–أ.سوداني عائشة

السنة الجامعية: 2017 – 2018

الشكر والتقدير

الحمد لله العلي المنان وهبنا خير الأنعام ووفقنا إلى ما فيه البيان ، أعاننا على إنجاز هذا العمل والصلاة والسلام على النبي المنتهى نسبة إلى عدنان محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أله وصحبه خير الرضوان .

نتقدم بالشكر والتقدير قبل كل شيء غالي والدينا ، إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد على رأسهم الأستاذة المشرفة: سوداني عائشة على المجهود الكبير الذي بدلته من أجل إتمام هذه المذكرة .

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع زملاء الجامعة كل بإسمه ، كما نشكر

الصديقات: حياة ـ شهرزاد

إلى كل من ساهم في إنجاز هذه المذكرة ولو بكلمة.

إهداء

إلى الذين يعيشون في رحاب القرآن يحفظونه ويعلمون و يستجلون أسراره وكنزه .

إلى كل مخلص لله تعالى جاهدا في سبيل إقامته صرح مشير الإسلام

إلى الذين يحترقون كالشموع ليضيئوا الطريق إلى الخير والحق والجمال

إلى إخواننا المرابطين في فلسطين والعراق، وفي كل البقع الإسلامية

إلى من لهم علي فضل سأظل أوين لهم به

ـ أمي الحنونة التي أمرتني من نور قلبها يوم أرضعتني من حليبها

أبي الكريم محمد الذي طعم عقلي بالعلم و الإيمان وتفاني في تعزية جسمي بالحلال لله

إلى جدتي شفاها الله ورعاها

إلى إخوتي وأخواتي : كرم ـ ماريا

إلى كل الأصدقاء والأحبة: مغنية ـ حياة

إلى كل الأحباب والأقارب

وإلى كل من أمرنا بيد المساعدة من أجل إتمام المذكرة

سهيلـــــــــة

قائمة المختصرات

بروتوكول Z3950:	بروتوكول زبون الخادم البحث واسترجاع المعلومات من قواعد البيانات عن بعد المعيار z3950 يعرفه **ANSI /MISO** على أنه طرق معيارية للبحث بقواعد بيانات متاحة واسترجاع وثائق بالنصوص الكاملة والبيانات البيبليوغرافية.
OAI:	open archives intiative هيئة طورت طرق معايير التشغيل المتداخل لتسهيل توزيع محتويات النسخ الأولية والنهائية.
IFLA:	international féderation of library association الإتحاد الدولي لجمعيات المكتبات ومؤسسات المكتبات تمثل مصالحها ومرافق المعلومات.
HTML	hyper texte markup language لغة تحرير وكتابة النص الفائق.
XML	the extensible markup language برمجية تساعد في عملية الترميز.
FTP	file transfer prtocol بروتوكول نقل الملفات في عملية تحميل الملفات على الإنترنت.
معيار دبلن كور:	اكتشاف المصادر الالكترونية ووصفها على شبكة الانترنت.
OCLC	online computer library center الهيئة المتعهدة للمعيار والمهتمة بالتحديث.
OA	open access الوصول الحر إلى المعلومات.
OAI_PMH:	OPEN ARCHIVES INITIATIVE PROTOCOL FOR METADATA بروتوكول الأرشيفات المفتوحة.
SNDL	SYSTEM NATIONAL DE DUCUMENTATION EN LIGNE مستودع يمكن من خلال تحميل كتب مذكرات.
CERIST:	CENTRE DE RECHERCHE SUR L'INFORMATION SCIENTIFIQUE ET TECHNIQUE مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني.

المقدمة

الحمد الله الذي جعل العلم ميراث الأنبياء و جعل ورثته هم العلماء الذين هم أكثر الناس خشية لرتبهم و أعرضهم به، و لذلك شرفهم الله بأرفع المقامات، و أعلى الدرجات، نحمده سبحانه أن جعل العلم سبيل العافين و منار السالكين، و نورا و هدى للعالمين-أما بعد:

إن قراءتنا للقرآن الكريم، و اطلاعنا على بعض التفاسير، دفعنا للخروج من التذوق البلاغي التقليدي إلى رغبة قوية في اكتساب بعض الجوانب المعرفية و الجمالية المتخفية في القصص القرآني.

فالقرآن ليس بكتاب قصص، بل كتاب دعوة و تشريع، و إن وردت فيه بعض قصص الأهم السابقة، بما فيها الأنبياء ، فإنما في سياق الدعوة إلى الإيمان و التوحيد. و من هنا ينبغي أن يكون النظر إلى القصة ليست للتذوق و تكوينها، إذ الله سبحانه و تعالى، فهو السارد يتحرك و ما يسرده يشير و يوحي إلى وقائع تجسد بسرديتها الموضوع و الفكرة المنسجمة مع روح العقيدة الإسلامية.

و نظرا لهذا التميز جاءت قصة يوسف على القرآن الكريم بطابع خاص، فهي قصة إنسانية اجتماعية شديدة الجاذبية، لذا كانت القصة الوحيدة التي تخصصت لها سورة محددة تحمل اسم النبي يوسف عليه السلام، و الأحداث فيها تختلف عن نظيرتها في باقي القصص القرآني، فهي منذ فقه متتالية، و هي هنا تتفق مع أسلوب التوارة السردي فهو سرد قصصي روائي يدخل في تفصيلات جانبية و تداخلات فرعية، لهذا نعمد إلى تطبيق المناهج الحديثة النّص المقدّس لاختلاف طبيعة الدراسة و مصدرها.

فمن هنا نطرح الإشكال هل يمكن أن نطبق نظرية السرد على نص قرآني؟ و ما خصائص سورة يوسف؟ هل تحتوي على تقنيات العمل الأدبي؟ أم هناك اختلاف؟.

ففي ضوء هذه الإشكالية راح تصورنا يرسي معا لمه على موضوع و سمناه بـ: الأسلوب السردي في قصة سيدنا يوسف عليه السلام.

حيث سلطنا الضوء على قصة سيدنا يوسف و ذلك بتقسيم بحثنا إلى مقدمة، و تمهيد و ثلاثة فصول و خاتمة، فقد تناولنا في التمهيد الأسلوب السردي و ما يتعلق به، ثم انتقلنا إلى الفصل الأول حيث تطرقنا إلى المحاور الكبرى لقصة سيدنا يوسف التي صورها سيد قطب في عشرة محاور هي: الرؤيا – الحب .....جمع الشمل.

ثم عرجنا إلى الفصل الثاني عنوناه بجوانب السرد القصصي قي القرآن الكريم يعتبر هذا الفصل صلب الموضوع ثم تناولنا في الفصل الثالث المعنون بجمالية الأسلوب السردي في قصة سيدنا يوسف عليه السلام.

هذا و قد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج ألتأثيري و المنهج التاريخي.

و في سبيل الربط بين وحدات الموضوع و إيضاح جزيئاته اعتمدنا على بحثنا بي مجموعة من المصادر و المراجع التي كان له المرشد الهادي لما جاء من أفكار افترقت على عمومها إلى مرجعية هاته الكتب القيمة بما فيها أهم مصدر القرآن الكريم، و ختمنا بحثنا بجملة من النتائج المتوصل إليها.

أما عن الصعوبات التي واجهها البحث فهي كثيرة و لكن لابد منها لأي بحث و تفتيش و لو لأنها لما سمي البحث بحثا، إذ البحث و تفتيش فيه و مشقة.

و في الختام لا يسعنا إلا أن نحمد الله على توفيقه و كرمه و لطفه، ثم الشكر الجزيل للأستاذة المشرفة التي لم تبخل علينا بعلمها و نصائحها المثمرة، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و التسليم على رسول الكريم.

تأويل الرؤيا:

يمضي السياق القرآني في سرد مفاجآت القصة، فيطوي الزمان و المكان لنلتقي معي المشهد الأخير.

"فلما دخلوا على يوسف أوى إليه أبويه. و قال: أدخلوا مصر إنشاء الله أمنين. و رفع أبويه على العرش. و خروا سجدا، و قال: يا أبت، هذا تأويل رأياي من قبل جعلها ربي حقا، و قد أحسن بحد إذ أخرجني من السجن و جاء بكم من البدو، و من أن نزع الشيطان بيني و بين إخوتي.[1]

"إن الله لا يضيع أجر المحسنين"[2]

.... مفاجأة عجيبة يلعنها لهم يوسف و يذكرهم في إجمال بها فعلوه بيوسف و أخيه في أيام الجاهلية"[3]

"قالوا: يا الله لقد أثرك علينا و إن كنا لخاطئين".[4]

اعترف بالخطيئة، إقرار بالذنب....يقابله يوسف بالصفح و العفو و إنهاء الموقف المخجل، شيمة الرجل الكريم و ينجح في الإبدال بالنعمة كما نجح من قبل في الإبدال بالشدة، إنه كان من المحسنين قال: "لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين"[5]

...ثم يحول الحديث إلى شأن أخر، شأن أبيه الذي ابيضت عيناه من الحزن فهو معجل إلى كشف ما حلق بقلبه من حزن و ما ألم بجسمه من ضنى و ما أصاب صره من كللا: "اذهبوا بقميصي هذا، ألقوه على وجه يأت بصيرا و أتوني بأهلكم أجمعين"[6].

كيف عرفت يوسف أن الرائحة سترد على أبيه بصره الكليل؟

ذلك مما علمه الله. و المفاجأة تصنع في كثير من الحالات فعل الخارقة...." و لما فصلت الغير قال أبوهم: إني لأجد ريح يوسف لو لا تفندون"[7]

1- محمد محمود حجازي: التفسير الواضح (الكتاب الغربي ط1-1982 ج1 ص 477.

2- سورة يوسف الآية 90.

3- سيد قطب استعمل كلمة (دفعة الجاهلية) استبدلناها ب (الأيام) الجاهلة لأنها تحدد الزمن فتصرفنا فيها مع مراعاة الأمانة العلمية.

4- سورة يوسف الآية 91.

5- سورة يوسف الآية 92.

6- سورة يوسف الآية 93.

7- سورة يوسف الآية 94.

كيف وجد يعوب ريح يوسف منذ أن فصلت الغير، و أين فصلت؟ يقول بعض المفسرين: إنها منذ فصلت من مصر و أنه شم رائحة القميص من هذا المدى البعيد، و لكن لا دلال عليه. فربما كان المقصود لمت فصلت الغير عند مفارق الطريق في أرض كعنان و اتجهت محلة يعقوب..."لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون"...تحسسوا بحواسكم، في لطف و بصر و صبر على البحث، و دون يأس من الله و فرحة و رحمته، و كلمة "روح" أدق دلالة و أكثر شفافية ففيها ظل الاسترواح من الكرب الخانق بما ينسم على الأرواح من روح الله الذي: "إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون"[1]

....و يدخل الإخوة إلى مصر للمرة الثالثة، بهم المجاعة، و نفذت منهم النقود و جاءوا ببضاعة رديئة هي الباقية لديهم. يشترون بها الزاد يدخلون و في حديثهم انكسارهم يعهد في أحاديثهم من قبل و شكوى من المجاعة تدل على ما فعلت بهم الأيام: "فلما دخلوا عليه قالوا: يا أيها العزيز مسنا و أهلنا الضر، و جئنا ببضاعة مزجاة لنا الكيل و تصدق علينا و إن الله يجزي المتصدقين"[2]

ورن في أذانهم صوت لعلهم يذكرون شيئا من برئاته، و لاحت لهم ملامح وجه لعلهم لم يلتفتوا إليها و هم يرونه في سمت عزيز في سمت عزيز و أبهته و السمع في نفوسهم خاطر من بعيد "قالوا": أنك لأنت يوسف؟"[3]

قال: "أنا يوسف، و هذا أخي قد من الله علينا، إنه من يتق و يصبر حزنا و كمدا: "و ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم"[4]

و يبلغ الحقد بقلوب بنيه ألا يرحموا ما به. و أن يلسع قلوبهم حنينه يوسف و حزنه عليه ذلك الحزن الكمد الكظيم، فلا ييسرون عنه و لا يعزون، و لا يعللونه بالرجاء بل يردون ليسطوا في قلبه الشعاع الأخير "قالوا: يا الله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرصا أو تكون من الهالكين"[5]

و هي كلمة خانقة مستذكرة يا الله تظل تذكر يوسف...أو تهلك بلا جدوى فيوسف ميئوس و قد ذهب و لن يعود

1- سورة يوسف الآية 87.
2- سورة يوسف الآية 88.
3- سليمان عشرتي الخطاب القرآني-مقارنة وصفية لجمالية السرد القرآني-ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1998-ص 1-3.
4- سورة يوسف الآية 84.
5- سورة يوسف الآية 85.

"إنما أشكوا بثي و حزني إلى الله و أعلم من الله ما لا تعلمون."[1]

و في هذه الكلمات يتجلى الشعور بحقيقة الإلوهية و هذا القلب الموصول، كما تتجلى الحقيقة ذاتها بجلالها الغامر و لآلاتها الباهر.

...و هذه قيمة الإيمان بالله، و معرفة التجلي و الشهور و ملابسة قدرته و قدره و ملابسه رحمته و رعايته و إدراك شأن الإلوهية مع الصالحين. إن هذه الكلمات: "و أعلم من الله ما تعلمون" تجلو هذه الحقيقة بما لا تملك كلماتنا نحن أن تجلوها.

و القلب الذي ذاق هذا المذاق لا تبلغ الشدائد منه. مهما بلغت إلا إن يتعمق اللمس و المشاهدة و المذاق...ثم يوجههم يعقوب إلى تلمس يوسف و أخيه و ألا ييأسوا من رحمة الله، في العثور عليها فأن رحمة الله واسعة و فرحة دائما منظور.

"يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف أخيه، و لا تيأسوا من روح الله" و يطوي السياق بهم، حتى يقف في مشهد أما أبيهم المجموع و قد أفضوا إليه بالنبأ الفظيع، فلا نستمع إلا رده قصيرا سريعا، شجيا و يجيعا و لكن وراءه أملا لم ينقطع في الله أن يرد عليه و لديه أو أولاده الثلاثة "قال: بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل، عسى الله أ يأتي بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم."[2]...كلمته ذاتها يوم فقد يوسف و لكنه في هذه المرة يضيق إليها هذا الأمل أن يرد الله عليه يوسف و أخاه فيرد ابنه الأخر المتخلف هناك....

إنه الرجاء في الله، و الاتصال الوثيق به، و الشعور بوجوده و رحمته. ذلك الشعور الذي يتجلى في قلوب الصفوة المجترة، فيصبح عندها أصدق و أعمق من الواقع المحسوس الذي تلمسه الأيدي و تراه الأبصار "وتولى عنهم و قال: يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم" و هي صورة مؤثرة للوالد الموجوع يحسن أنه منفرد بهمته، وحيد بمصابه، لا تشاركه هذه القلوب التي حوله و لا تجاوبه، فينفرد في معزل، يندب فجيعته في ولده الحبيب يوسف الذي لم ينسه و لم تهون من مصيبته السنون و الذي تذكره به نكبته الجديدة في أخيه الأصغر فتغلبه على صبره الجميل: "يا أسفي على يوسف"[3] و يكظم الرجل حزنه و يتجلد فيؤثر هذا الكظيم في أن يستولي على أخيه كما استولى عليه بتحكيم إخوته

[1] - سورة يوسف الآية 76.
[2] - سورة يوسف الآية 84.
[3] - سورة يوسف الآية 86.

لديهم هم، و الكيد يطلق على التدبير في إلحاق الخير أو الشر سواء. (وقد أشدت إلى مفهوم الكيد و أنواعه) و تضمن التعقيب الإشارة إلى ما ناله يوسف من رفعه" نرفع درجات من نشاء"...ثم نعود إلى إخوة يوسف، و على يوسف من قبله فإذا هم يتنصلون السرقة من السرقة و ينفونها عنهم و يلقونها عنهم على هذا الفرع من أنباء يعقوب: "قالوا إن يسرق فقد أخ له من قبل"[1]...لقد قذفوا بها يوسف و أخاه يوسف كان يريد أن يلقي عليهم درسا و كان يريد أن يشوقهم إلى المفاجأة التي يعدها لهم و لوالده و للجميع....

"فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله و من قبل ما فرطتم في يوسف؟ فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي، أو يحكم الله لي و هو خير الحاكمين. أرجعوا إلى أبيكم فقولوا له، يا أبانا إن ابنك سرق، و ما شهدنا إلا بها علمنا و ما كنا للغيب حافظين، و أسأل القرية التي كنا فيها و القرية التي أقبلنا فيها و إنا لصادقون"[2] إن كبيرهم ليذكرهم بالموثق المأخوذ عليهم كما يذكرهم في يوسف من قبل، و يقرن هذه بتلك ثم يرتب عليها قراره الحازم: ألا يبرح مصر و ألا يواجه أباه إلا أن يأذن له أبوه أو يقضي الله له بحكم.

يرتاع إخوة يوسف لهذا النداء الذي يتهمهم بالسرقة و هم أبناء يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم. فيعودون أدراجهم تبينون الأمر المريب...و لكن القوم مستقين من براءتهم، فهم لم يسرقوا، و ما جاءوا ليسرقوا فهم يقسمون واثقين "قالوا: تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض"[3]...و هنا ينكشف طرف التدبير الذي ألهمه يوسف، فقد كان المتبع في دين يعقوب أن يؤخذ السارق رهينة أو أسيرا رقيقا في مقابل ما يسرق. و لما كان إخوة يوسف موقنين بالبراءة، فقد ارتضوا تحكيم شريعتهم فيمن يظهر أنه سارق ذلك ليتم تدبير الله ليوسف و أخيه. قالوا "جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه. كذلك نجزي الظالمين"[4] كل هذا الحوار كان على منظر ومسمع من يوسف. فأمر بالتفتيش و أرشدته حصافته إلى أن يبدأ برحالهم قبل رحل أخيه، ثم استخراجها من وعاء أخيه"[5]

---

[1] - سورة يوسف الآية 77.

[2] - د.محمد علي الصابوني- صفوة التفسير- دار القرآني الكريم، ط4، بيروت، 1981، ص 40.

[3] - سورة يوسف الآية 73.

[4] - سورة يوسف الآية 75.

[5] - سورة يوسف الآية 76.

و يدعنا السياق نتصور الدهشة بالمفاجأة العنيفة لأبناء يعقوب الموقنين ببراءتهم، الحالفين، المتحدين...فلا يذكر شيئا عن هذا بل يتركه يتأملاه الخيال على الصور التي تكمل رسم المشهد بانفعالاته بينما يأخذ في التعقيب ببعض مرامي القصة، ريثما يفيق النظارة و أبناء يعقوب مما هم فيه. "كذلك كدنا ليوسف"[1] "ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك" فلو حكم شريعة الملك ما تمكن المفسرون بابا للخروج عن الجو القرآني..فالنظر نحن الوصية و الرحلة كما طواها السياق، لنلتقي بإخوة يوسف في المشهد الثاني بعد الوصول: "فلما دخلوا على يوسف أوى إليه أخاه قال: إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون"[2].. و يطوي السياق فترة الضيافة و ما جار فيها بين يوسف و إخوته، ليعرض مشهد الرحيل الأخير، فنطلع على تدبير يوسف ليحتفظ بأخيه. "فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه،ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكما السارقون. قالوا: و أقبلوا عليهم. ماذا تفقدون؟ قالوا: نفقد صواع الملك و لمن جاء به حمل بعير، و أنا به زعيم. قالوا: فما جزاؤه، كذلك نجزي الظالمين..."[3]

و هو مشهد مثير، حافل بالحركات و الانفعالات و المفاجآت، كأشد ما يكون المشاهد حيوية و حركية و انفعالا غير أن هذا صورة من الواقع يعرضها التعبير القرآني هذا العرض الحي الأخاذ.

فمن وراء الستار يدس كأس الملك، و هي عادة من الذهب، و قيل أنها كانت تستخدم لشراب و تستخدم قعرها الداخل المجوف من الناحية الأخرى في كيل القمح من ندوته و عزته في تلك الجماعة، يدسها في الرحل المخصص لأخيه، تنفيذا لتدبير خاص ألهمه الله له و سنعمله بعد قليل.

ثم ينادي مناد بصوت مرتفع في صيغة إعلان عام، و هم منصرفون:

"أيتها العير إنكم لسارقون"[4]

" و نميز أهلها"[5] و الميزة الزاد، و يؤكدون له عزمهم على حفظ أخيهم.

---

[1]- محمد علي أبو حمده في التذوق الجمالي لسورة يوسف-دار الهدى الجزائر، ص 29.

[2]- سورة يوسف الآية 69.

[3]- سورة يوسف الآية 70

[4]- محمد علي أبو حده، المرجع نفسه، ص 21.

[5]- سورة يوسف الآية 65.

"و نحفظ أخانا"[1] و يرغبونه بزيادة الكيل لأخيهم.

"و نزداد كيل بعير"[2] و استسلم الرجل على كره، و لكنه جعل لتسليم ابنه الباقي شرطا: "قال لن أرسله معكم حتى تأتون موثقا من الله لتأتني به إلا أن يحاط بكم"[3]

... و بعد هذا الموثق جعل الرجل يوصيهم بما خطر له في رحلتهم القادمة و معهم الصغير العزيز: "و قال: يا بني لا تدخلوا من باب واحد و دخلوا من أبواب متفرقة و ما أخذني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله، عليه توكلت و عليه فليتوكل المتوكلون"[4]

فيم كانت هذه الوصية؟ قال لهم أبوه: " لا تدخلوا من باب واحد و دخلوا من أبواب متفرقة "

تضرب الروايات و التفاسير بلا ضرورة، بل ضد ما يقتضيه السياق القرآني الحكيم فلو كان السياق يجب أن يكشف عن السبب لقال، و لكنه قال فقط إلا لحاجة في نفسه ليعقوب قضاها. فينبغي أن يقف المفسرون عندما أراده السياق و يرى في دخولهم من أبواب متفرقة اتقاء لهذا الشيء مع تسليمه بأنه لا ينبغي عنهم من الله شيء...إنما هو خطر شعر به و حاجة في نفسه قضايا بالوصيه و هو على علم بأن إدارة الهه نافذة.

ثم ليكن الذي يخشاه هو العين الحاسد، أو هي غيرة الملك من كثرتهم و فتوتهم"، أو هو أو تتبع قطاع الطريق لهم. فهو لا يزيد شيئا في الموضوع سوى أن يجد الرواية" و لما جهزهم بجهازهم قال: ائتوني بأخ لكم من أبيكم" و استدرجهم حتى ذكروا له من هم على وجه التفصيل، و أن لهم أخا أصغر من أبيهم لو يحضر معهم لأن أباه يحبه و لا يطيق فراقه فلما جهزهم بحاجات الرحلة قال لهم: إنه يريد أن يرى أخاه هذا، قال: "ائتوني بأخ من أبيكم. قالوا: "سنراود عنه أبا و إنا لفاعلون"[5]

و لفظ "نراود" يصور الجهد الذي يعلمون بأنهم باذلون.

أما يوسف فقد أمر غلمانه أن يدسوا البضاعة التي حضرها بها إخوته يستبدلون بها القمح و العلف و قد تكون خليطا من نقد و من غلاة صحراوية أخرى...و من الجلود و الشعر و سواها مما كان يستخدم في التبادل في الأسواق...أمر غلمانه بدسها في رحالهم، و الرحل

---

[1] - سورة يوسف الآية 66.
[2] - سورة يوسف الآية 67.
[1] - سورة يوسف الآية 65.
[2] - سورة يوسف الآية 65.
[3] - سورة يوسف الآية 66.

متاع المسافر لعلهم يعرفون حين يرجعون أبها بضاعتهم التي جاءوا بها...(إن يوسف لم يعطيهم قمحا، و إنما وضع لهم بضاعتهم في رحالهم، فلما عادوا قالوا: "يا أبانا منع منا الكيل" و فتحوا رحالهم فوجدوا بضاعتهم و كان سببا قد يضطرهم بالعودة بأخيهم)

...لقد اتخذوا من رد بضاعتهم إليهم دليلا على أنهم غير باغين فيما يطلبون من استصحاب أخيهم و لا ظالمين: "يا أبانا ما ينبغي، هذه بضاعتنا ردت إلينا"[1]

ثم أخذوا يحرجونه بالتلويح له بمصلحة أهلهم الحيوية في الحصول على طعام بتدبير يوسف منه و كيف صارت محط أنظار جيرانها و مخزن طعام في هذه المنطقة كلها. و في الوقت ذاته تمضي قصة يوسف في مجراها الأكبر بين يوسف و إخوته و هي سمة فنبتة تحقق هدفا دينيا في السياق.

جمع الشمل:

"وجاء إخوة يوسف، فدخلوا عليه فعرفهم و هم له منكرون، و لما جهزهم بجهازهم قال: ائتوني أخ لكم من أبيكم. ألا ترون أني أوفي الكيل و أنا خير المنزلين؟ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي و لا تقربون قالوا: سنراود عنه أباه و إنا لفاعلون. وقال لفتيانه: اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم يرجعون."[2]

و بعد السياق القرآني يعود بنا القرآن بعد هذه الفترة الطويلة من انقطاع وصل يوسف بأبيه يعقوب و إخوته و التي فصل فيها حادثة الجب ليعود اللقاء بهم فيتذكرهم يوسف كما أنبأه الوحي من قبل و قد أصبح له شأن عظيم لينقذهم من أنياب المجاعة التي حلت بهم و تأخذ الأحداث مجراها بأسلوب جديدة تتقيد فيها الشخصية الرئيسية زمام الأمور تتطور فيها تقنيات الفعل و الحركة و الحوار و الحدث "فدخلوا عليه فعرفهم و هم له منكرون"[3] و لكنا ندرك من السياق أنه أنزلهم منزلا طيبا، ثم أخذ في إعداد الدرس الأول:

شعب جائع سبع سنوات متوالية لا يقول أحد إنه غنيمة، إنما هي تعبة يهرب منها الرجل لأنها قد تكلفهم رؤوسهم و الجوع كافر...إن السياق لا تبين أن الملك وافق فكأنما يقول: إن الطلب تضمن الموافقة زيادة في تكريم يوسف و إظهار مكانته عند الملك. فيكفي أن يقول

1- سورة يوسف الآية 58-62.

2- سورة يوسف الآية 56.

3- سليمان عشرتي الخطاب القرآني-مقارنة وصفية لجمالية السرد القرآني-ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1998-ص 14.

ليجاب، بل ليكون هو الجواب... و من ثم يحذف رد الملك و يدع القارئ يفهم أنه أصبح في المكان الذي طلبه، و يؤيد هذا الذي يقول تعقيب السياق: "وكذلك مكنا ليوسف في الأرض تبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء و لا نضيع أجر المحسنين.. و لأجر الآخرة خير للذين أمنوا و كانوا يتقون."[1]

لقد تبين للملك براءة يوسف، وتبين له معها علمه في تفسير الرؤيا، و حكمته في طلب تحميص أمر النسوة، كذلك تبين له كرامته و إباؤه، و هو لا يتهافت الخروج من السجن و لا يتهافت على لقاء الملك...و يحذف ذلك السياق جزئية تنفيذ الأمر لنجد يوسف مع الملك. فلما كلمه قال: "إنك اليوم مكين أمين"[2] و لكن كيف رد يوسف على هذا التتويج الذي أقره الملك؟ إنه رد حكيم يفصح لنا عن احتمال شخصية يوسف و قدرته على حمل مسؤولية الرؤيا التي أولها للملك... أو نما طالب بما يعتقد أنه قادر على أنه ينهض به من الأعباء في الأزمة القادمة التي أول بها رؤيا الملك، فيرى مما ينهض به أحدا في البلاد و بما يعتقد أنه سيصون به أرواحا من الموت و بلاد من الأحزاب، و مجتمعا من الفتنة فتنة الجوع. فكان قويا في إدراكه لحاجة الموقف إلى خبرته و كفاءته و أمانته، قوته في الاحتفاظ بكرامته و إبائه قال: "اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم"[3]

و لم يكن يوسف يطلب لنفسه و هو يرى إقبالا الملك عليه فيطب أن يجعله على خزائن الأرض...إنما كان حصيفا في اختبار اللحظة التي يستجاب له فيها لينهض بالواجب المرهق الثقيل في أشد أوقات الأزمة و ليكون مسؤولا على إطعام (و هي الحقيقة التي يصعب إنكارها و لو من طرف النسوة لأن أمر يوسف واضح بحيث لا يقوم فيه جزت).

البراءة:

و هنا تتقدم المرأة المحبة ليوسف التي يئست منه، و لكنها لا تستطيع أن تخلص من تعلقها به. تتقدم لتقول: "قالت امرأة العزيز: الآن حصص الحق أنا راودتها عن نفسه. و إنه لمن الصادقين"[4]

1- محمد أمين خلاي-الإعجاز الفني في القصة القرآنية رسالة مقدمة لنيل درجة جامعة وهران 2000/1999 ص 120/119.
2- سورة يوسف الآية 52.
3- سورة يوسف الآية 42.
4- سورة يوسف الآية 50.

...شهادة كاملة بنظافته و براءته و صدقة... فهل هو الحق وحده يدفعها لهذا الإقرار الصريح في حضرة الملك و الملأ؟

يشير السياق بحافز أخر هو حرصها على أن يحترمها الرجل المؤمن الذي لم يعبأ بفتنتها الجسدية، أن يحترمها تقديرا لإيحائها و لصدقها و أمانتها في حقه غيبته: "ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب"[1]

و فهمه الواسع و الدقيق في فك رموز الرؤيا، و ما يمتلكه من مواهب في التفكير و التدبير. فقد قدم لهذه الرؤيا مفاتيحها و حلولها جاهزة أو على شكل غرار ما يفعله محلل اقتصادي خبير بالميدان الاقتصادي، يوجه للمختصين وسائل و تقنيات عصرية مفيدة تقيهم سلبيات و عواقب هذه الأزمة الزاحفة، فيبهر الملك و حاشيته بهذا المنطق السليم الحكيم فيبرز يوسف في موقف قوة و عزة يغتنم هذه الرؤيا للدفاع عن نفسه و براءته ليصبح في هذا المشهد هو السيد و هو الصادق. فكيف يرمي بهم كاذبة فتفتح له هذه الرؤيا باب النظر في تهمته و انبهار الملك بعبقريته لتزول عقبة كبرى لسقت بشرفه و كرامته.[2]

نجد في يوسف السجين الذي طال عليه السجن، لا يستعجل الخروج حتى تتحقق قصته و يتبين الحق واضحا في موقفه. و تعلن براءته من الوشايات و الدسائس و العمر في الظلام.. لقد رباه ربه و أدبه. و قد سكبت هذه التربية و هذا الأدب في قلبه السكينة و الثقة و الطمأنينة. فلم يعد معجلا و لا خجولا. إن أثر التربية شديد الوضوح في الفارق بين الموقفين: "أذكرني عند ربك"[3] الموقف الذي يقول له فيه "ارجع إلى ربك فسأله ما بال النسوة التي قطعن أيديهن؟"[4] و الفارق بين الموقفين بعيد.

قال: " ارجع إلى ربك فاسأله: ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟ إن ربي بكيدهن عليم."

---

[1] - سورة يوسف الآية 44.

[2] - سورة يوسف الآية 46.

[3] - سورة يوسف الآية 55.

[4] - سورة يوسف الآية 67.

و قد بين ابن خلدون أن النفس إذا خفت عنها شواغل الحسن و موانعه بالنوم تتعرض إلى معرفة ما تشوق إليه في عالم الحق جعل الله الرؤيا من المبشرات[1]

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قيل: و ما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الصالحة"[2]

العقل وحده لا يكفي لإثبات نبوة نبي و يقول: إنما نعرف النبي أو للعارف الذي يلتقي علمه من الله بأمر أخر. فإن الله أعطانا نموذجا من خصائص النبوة نشاهد في نفوسنا. و يعني بذلك ما يراه النائم من أسرار الغيب[3]

تأويل رؤيا الملك:

"و قال الملك: إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف و سبع سنبلات خضر و أخر يابسات. يا أيها الملأ أفتوني في رأياي إن كنتم للرؤيا تعبرون"[4]

أن التأويل قد يحقق و أن الأمر قد قضى على ما أوله يوسف. و يترك فجوة "فلبث في السجن بضع سنين"[5]

و الضمير في "لبث" عائد على يوسف، و قد شاء أن يعلمه كيف يقطع الأسباب كلها و يستمسك بسببه وحده،.... و كان هذا من اصطفائه و إكرامه.

(سيقموند فرويده) عندما حلل الأعراض المرضية للمصابين، اعتمد على الأحلام كواقع مخزون في اللاشعور أو الكبت و قصص لهذا التحليل الطبي النفسي كتابة "تفسير الأحلام" و الدكتور التهامي نقرة في رسالته تعرض إلى نظرية (فوريد) في التحليل النفسي و عرضها مقارنة مع الرؤيا في القصة القرآنية ليستنتج نوعا ثالثا مستقلا بذاته لم يقره علماء النفس حتى الآن عندما تصبح الرؤيا إشعار رأوا تنبأ بالغيب أو المستقبل هذا ما تميزت به قصة يوسف "أحسن القصص"[6] و إن كان سيقطب قد أشار إلى أن سيجموند فوريد قد لمح إلى هذا الجانب و لكنه لم يستدل عليه. و نجد في هذه السورة عنصر أخر

1- المرجع السابق المقدمة ص 180.
2- رواه البخاري.
3- المرجع السابق ص 520.
4- سورة يوسف الآية 43.
5- سورة يوسف الآية 42.
6- سيكولوجية القصة في القرآن.

يتصل بعالم النفس و الغيب. فقد تضمنت أربع رؤى و هي: ما قصة يوسف على أبيه و هو صبي و كأن قصة تأويل لهذه الرؤيا و لما تنبأ به يعقوب من ورائها. و ما قصة الفتيان من رأياهما على يوسف في السجن و ما قصة الملك من رأياه على ماشيته... فالأحلام في الحقيقة ترجع إلى العبارة القوية الحزينة قال: "ربي السجن أحب إلي مما يدعونني إليه"[1] " و إلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن و أكن من الجاهلين"

و هي دعوة الإنسان العارف ببشريته الذي لا ينقر عصمته، فيريد مزيدا من عناية الله و حيطته.

"فاستجاب له ربه فصرب عنه كيدهن، و أنه هو السميع العليم"[2] و هكذا اجتاز يوسف محنته الثانية بلطف الله و رعايته.

تأويل الرؤيا في السجن:

هذه هي المحنة الثالثة و الأخيرة من محن الشدة في حياة يوسف، فكل ما بعدها رخاء. و المحنة في هذه الحلقة هي السجن بعد ظهور البراءة، و السجن للبرء المظلوم أقسى. و في فترة المحنة هذه تتجلى نعمة الله على يوسف و بما وهبه من علم لديني بتعبير الرؤيا (أفضل استعمالا لفظا "تفسير" بدل "تعبير" لأن الرؤيا تفسر و لا تعبر) "و دخل معه السجن فتيان"[3]

و انفعالاتها دون أن نشأ منها معرضا للنزوة الحيوانية الجاهزة و لا مستنقعا للوحل الجنسي المقبح و لكن الخبر انتشر أوديع. كيف أوديع الخبر؟ و من أدعه؟ و لم يحل السيد بين المرأة و فتاها. و مضت الأمور في طريقها، فكهذا تمضي الأمور في القصور و لكن للقصور جدرانا، و فيهم حزم و حشم. و ما يجري في القصور لا يمكن أن يظل مستورا.

"و قالت نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه. قد شغفها حبا إنا لنراها ضلال مبين"[4] لأول مرة نعرف أن المرأة هي امرأة العزيز، و أن الرجل الذي اشتراه من مصر هو عزيز مصر... (نلاحظ من خلال وقفا نتابع الحوار بين الشخصيات الرئيسية

1- عبد الحافظ عبد ربه-بحوث في القصص القرآني –دار الكتاب اللبناني-بيروت الطبعة الأولى 1979 ص 59.
2- محمد طول البنية في القصص القرآني ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1991 ص 34.
3- سليمان عشرتي المرجع السابق ص 107.
4- محمد علي الصابوني صفوة التفاسير القرآن الكريم ط4 بيروت 1981 ص 41.

و الثانوية، و أنه هو الأداة الأكثر تفاعلا في قصة يوسف، فكان أسلوب الحوار الذي يلعب على المشاهد فيمدها بالحركة و الحياة و الانفعال انطلق من (الإشارة إلى التفصيل و من العام إلى الخاص)[1] نستبدل على هذا من بداية الرؤيا التي قصها يوسف على يعقوب إلى نهايتها بتأويل هذه الرؤيا)

(ينتقل السياق القرآني إلى مشهد أخر تجتمع فيه القصر بدعوة من امرأة العزيز يفتح فيها القرآن صفحة الواقع الاجتماعي المصري "الأرسطوقراطي" في ذلك أحد النوعين:

إما شعوري: و هو ما النفس من مشاكل في الواقع. و إما اللاشعوري و هو ما رسب في النفس من رغبات مكتوبة فيتخذ العقل الباطن من الأحلام متنفسا لهذا الكبت الذي يقع في اليقظة و لكننا نجد الرؤى التي قصها علينا القرآن لا تندرج تحت هذين النوعين، إنما تمثل نوعا ثالثا مستقلا بذاته لم يتسن علماء النفس أن يقرره و هو اكتشاف.

...و يختصر السياق ما كان من أمر يوسف في السجن، و ما ظهر من إصلاحه و إحسانه فوجه إليه الأنظار و جعله موضوع ثقة المساجين.

"قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا، و قال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه. نبأنا بتأويله. إنا نراك من المحسنين"[2]

و يبدو في طريقة تناول يوسف للحديث لطف مدخله إلى النفوس. و هي سمة هذه الشخصية البارزة في القصة بطولها "قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما، ذلكما مما علني ربي"[3]

و بهذا التوكيل الموحي بالثقة بأن الرجل على علم لدني، يرى به كذلك طبيعة الفترة و شيوع النبوءات فيها و الرؤى. "يا صحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا و أما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه"[4]

لم يعين من هو صاحب البشري و من صاحب المصير السيئ تلطفا و تحرجا عن المواجهة بالشر و السوء، و أحب يوسف السجن الرئة، الذي أمر الملك بسجنه دون تحر

---

[1] - سورة يوسف الآية 36.

[2] - سورة يوسف الآية 37.

[3] - سورة يوسف الآية 39.

[4] - عبد الحافظ عبد ربه-بحوث في القصص القرآني –دار الكتاب اللبناني-بيروت الطبعة الأولى 1979 ص 59.

و دون بحث، أحب يوسف أن يبلغ أمره إلى الملك ليفصح عن الأمر: "و قال للذي ظن أنه ناج منهما أذكرني عند ربك"[1]

فالرب هو السيد و الحاكم القاهر و المشروع، و في هذا توكيد لمعنى الربوبية في المصطلح الإسلامي و مما يلاحظ أن ملوك الرعاة لم يكونوا يدعون الربوبية قولا للفراعنة و لم يكونوا ينتسبون إلى الإله كالفراعنة[2]. و هنا يسقط السياق من حريته و قدرته للتصدي لهن فماذا يصنع هذا النبي في محيط سوى تأمر على النيل من شرفه؟ تلجأ الشخصية المحورية إلى خيار عسير لكنه أرحم من الاستسلام لرغبات النسوة و غرائزهن المفتضحة. فكان السجن هو الحصن الأكبر الذي يخلصهن من مكرهن فكان الحوار الداخلي أو (المنلوق) كتقنية روائية حدية تصفي إليه في هذه العصر يقول سيد: و يكشف السياق عن مشهد من صنع تلك المرأة الجريئة التي تعرف كيف تواجه نساء طبقتها بمكر كمكرهن و كيدن من كيدهن.

"فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن و اعتدت لهن متكأ و أتت كل واحدة منهن سكينا و قالت: أخرج عليهن. فلما رأينه أكبرنه و قطعن أيديهن و قلن: حاش الله! إن هذا إلا ملك كريم"[3]

يقف يوسف أمام هذه المحنة التي اشتعلت نارها امرأة العزيز مع النسوة، فردا أعزلا و لكن هذه الحادثة لا تنتهي دون تحقيق فيها بشهود.

"وشهد شاهد من أهلها. إن كان قميصه قد من قبل فصدقت و هو من الكاذبين و إن كان قميصه قد دبر فكذبت و هو من الصادقين"[4]

المراودة تمر في حركة سريعة في جو القصر الواسع، حركة تبدأ بتغليق الأبواب في صوت قوي و كائنا نسمعه و تتهيأ (زليخا) كعادة أميرات القصور في كل ساعة و أخرى تستعرض مفاتنها بجسدها العاشق الذي تمرد على القيم و العرف، لتهتم به، و لتتخيل

---

[1]- محمد طول البنية في القصص القرآني ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1991 ص 34.

[2]- سليمان عشرتي المرجع السابق ص 107.

[3]- محمد علي الصابوني صفوة التفاسير القرآن الكريم ط4 بيروت 1981 ص 41.

[4]- سورة يوسف الآية 30.

هجومها كيف كان وحشيا تدفعه العزيزة الثائرة التي تحرر من كل قيد، منظر قد لا يتوقعه المشاهد ليداهم الملتقى دفعة واحدة. و سيد قطب يتساءل عن بطاقة تعريف من مشهد الواقعة. فأين و متى أدلى هذا الشاهد بشهادته هذه؟ هل كانمع زواجها؟ (سيدها تعبيرا أهل مصرا) و شهد الواقعة ؟ أم أن زوجها استدعاه و عرض عليه الأمر، كما يقع في مثل هذه الأحوال أن يستدعي رجلا كبيرا من أسرة المرأة و يطلعه على ما رأى و بخاصة تلك الطبعة الباردة الدم المائعة و القيم![1]

و يعقب سيد قطب على هذا الموقف. تبين له صيب الشهادة المبينة على الواقع أنها هي التي راودت، و هي التي دبرت الاتهام. و هذا يبدوا لنا صورة من "الطبقة الراقية" في الجاهلية قبل ألاف السنين و كأنها اليوم شاخصة. رخاوة في مواجهة الفضائح الجنسية و ميل إلى كتمانها عن المجتمع و التفاته إلى يوسف البريء "يوسف أعرض عن هذا"[2] فأهماه و لا تنره اهتماما و لا تتحدث إليه.. و هذا هو المهم..محافظة على المظاهر. و سيدل الستار على المشهد و ما فيه، و قد صور السياق الرد القرآني قويا و مثبتا في تدخله استجابة لهذا الموقف الطارئ. "كذلك لنصرف عنه السوء و الفحشاء، أنه من عبادنا المخلصين"[3]

يأتي هذا المشهد مفعم بالحركة، حركة اعتداء و تهجم، و حركة مقاومة لهذا الاعتداء ترصدها و تصورها الكمرة القرآنية، و مشهد المراودة هذا يكاد ينفر في عرضه بمواصفات القصة القرآنية النموذجية في شموليتها للأبعاد المختلفة للحدث و الشخصيات و الحوار و تصوير الحركة الهادفة الموحية و المؤثرة في سيناريو جامع للأقوال و الأفعال و الضلال و الإضاءة..فحركة المرأة التي اشتعل حبسها بالشهوة و أعماها الهوى لتعتدي على فتاها (يوسف) فتمزق قميصه يدفعها في ذلك الحقد الشيطاني و كبرياء النفس الطاغية إلى أن تقلص به تهمة يوسف منها براءة.[4] و قد ذكر ابن حزم الأندلسي صفة الخيانة مع الكذب أنها أصل كل فاحشة"...فالكذب أصل كل فاحشة و جامع كل سوء و جاب لمفت الله

[1] - التهامي نقرة. سيكولوجية القصة في القرآن ص 411.
[2] - سورة يوسف الآية 36-42.
[3] - سورة يوسف الآية 6.
[4] - سورة يوسف الآية 24.

عز وجل. و عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة و الكذب"[1] "و استبقا الباب و قدت قميصه من دبر و ألقى بها لدى الباب قالت: ما جزاء من أراد أهلك سوء إلا أن يسجن أو عذاب أليم"[2]

و لكنها امرأة تعشق، فهي تخشى عليه فتشير بالعقاب المأمون، فما نوع ها العقاب؟

السجن:

المنعطف الإيجابي و المخرج الأخير ليوسف من هذه الحرب النفسية الطويلة التي شنتها (زليخا) بواسطة الإغراء على يوسف لإشباع رغبتها الجنسية.

للنصوص القرآنية التي تضمنتها أحداث القصة "أحسن القصص"، الذي خطر لي أن قوله تعالى: "ولقد همت به و هم بها لو لا أن رأى برهان ربه"[3] هو نهاية موقف طويل من الأعزاء. و بعد ما أبي يوسف في أول الأمر و استعصم و هو تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة و الضعف ثم الاعتصام بالله في نهاية و النجاة و لكن السياق ألقراني لم يفصل في تلك المشاعر البشرية المتداخلة المتعارضة المتغالبة لأن المنهج القرآني لا يريد أن تجعل من هذه اللحظة معرضا يستغرق أكثر من مساحته المناسبة في محيط القصة. فذكر طرفي الموقف بين الاعتصام في أوله و الاعتصام في نهاية مع الإلهام بلحظة الضعف بينهما ليكتمل الهدف و الواقعية و الجو النضيف جميعا (وحول خاصية الواقعية في القصة القرآنية و خاصة في رسمها و نقلها لحالة الهبوط و السقوط البشري و التي يركز عليها كل من سيد قطب و شقيقه محمد قطب، يضعف هذا الأخير بعد مقارنة بين الحلتين و بين الواقعية الغربية (أن الواقعية) الإسلامية لا يجب أن ترسم صورة مزورة للبشرية صورة بيضاء من كل سوء نقية من كل شائبة، سليمة من كل انحراف كلا... ![4]

[1]- طرف الجماعة في الآلاف فقه صلاح ألقاسمي ص 131. الدار التونسي للنشر 1985.

[2]- سورة يوسف الآية 25.

[3]- سورة يوسف الآية 24.

[4]- سورة يوسف الآية 24.

و لكنها تصورها على وضعها الطبيعي الحقيقي و هي أنها نقائص ينبغي أن يرتفع عنها الإنسان و هنا مفترق الطريق[1]

إلا أن القضاء و القدر كان يسوق يوسف نحو غاية سامية و رسالة عظيمة يبلغها عن ربه فلابد له أن يمحضه و تختبر طاقته و مواهبه، إذ أنه في لحظة الضعف الطارئة و المحرقة في أن واحد، يتخذ يوسف مشرفا للطهر و الرفعة و دفع الجريمة و الامتناع عن تلبية شطحاتها و مقرباتها البراقة، فينتصر في صراعه مع الرغبات و المشاعر، فيتحول الضعف إلى القوة و الخوف من الله مناعة و تذكر الجميل (العزيز عليه) و تدعيما للجانب.

"ولقد همت به و هم بها لولا أن رأى برهان ربه"[2]

و هذه العبارة كانت موطن تجني على النص القرآني و على شخصية يوسف النبي دعمتها أقلام الإسرائيليات بعيدا عن الحجة و الدليل. فقدوزه روي أن فرقة من الخوارج تسمى (الميمونية) من أتباع (ميمون العجردي) أنكرت سورة يوسف و لم تعدها من القرآن لأنها قصة غرام في زعمها[3].

لقد حرص جميع المفسرين القدامى و المحدثين نظرهم في تلك الواقعة الأخيرة فأمّا الذين ساروا وراء الإسرائيليات فقد رؤوا أساطير كثيرة يصورون يوسف عليه السلام هائج الغريزة مندفعا شبقا و الله يدفعه ببراهين كثيرة، فلا يندفع إذ صورت له هيئة أبيه يعقوب في سقف المخدع عاضا على أبعه بفمه إذ صورت له لوحات كتبت عليها آيات من القرآن تنهي عن مثل هذا المفكر و هو لا يرعوي حتى أرسل الله جبريل يقول له: أدرك عيدي فجاء في صدره.

إلى آخر هذه التصورات الأسطورية التي سار وراءها بعض الرواة هي واضحة التفليق و الاختراع، و لقد أشرت إلى جزء من هذا الجانب الأسفوري في المدخل.

و أما الجمهور المفسرين فسار على أنها همت به و هم المفعل و هم بها هم النفس ثم تجلى له برهان ربه فترك. و أنكر المرحوم الشيخ – رشيد رضا – في تفسير النار على الجمهور هذا الرأي. و قال: إنها إذا همت به بضربة نتيجة- إساءته و إهانته لها و هي السيدة الآمرة...و لكنه آثر الهرب فلحقه به و قدت قميصه من دبر و تفسير (الهم) بأنه هم

1- منهج الفن الإسلامي ص 82.

2- سورة يوسف الآية 24.

3- سيكولوجية القصة في القرآن ص 413.

الضرب و رد الضرب مسألة لا دليل عليها في العبارة، فهي مجرد رأي لمحاولة البعد بيوسف عن هم الفعل أو هم الميل إليه في تلك الواقعة، و فيه تكلف و إبعاد عن مدلول النص (ثم يسترسل – سيد قطب – في سرد خطراته مستمدا إياها من خلال مراجعته.

يختلط عندها البعث بالجد و السرور العقيم بالوظيفة الطبيعية و تقضي بعد سن اليأس زمنا يحكمها فيه هذا البعث الذي لا نظير له في حياة الرجولة[1].

يصف –سيد قطب- هذه البيئة دائما من خلال تتبعه لمعاني السياق القرآني فهذه البيئة التي تسمح بهذا و ذلك بيئة خاصة – هي بيئة الطبقة المترفة دائما- و يوسف كان فيها مولى و تزف فيها في سن الفتنة، فهذه المحنة الطويلة التي مر بها يوسف و صمد لها و نجا منها و من تأثيراتها و مغرياتها و ميوعتها و وسائلها الخبيثة... كل هذه المدة قيمة ق\في تقدير مدى الفتنة و خطورة المحنة و الصمود لها هذا الأمد الطويل. و إذن فقد كانت المراودة في هذه المرة المكشوفة، و كانت الدعوة فيها سافرة إلى الفعل الأخير... و حركة تغليق الأبواب لا تكون إلا في اللحظة الأخيرة، و قد وصلت المرأة إلى اللحظة الحاسمة التي تهتاج فيها دفعة الجسد الغليظة و نداء الجسد الأخير: "وقالت هيت لك!".

و يرتكز هذا المشهد على الحوار بين الشخصية الرئيسية و امرأة العزيز (زليخا) حوار يكشف عن الصراع النفسي الحاد القائم بين الشخصين زليخا تقبل على غواية يوسف و قالت هيت لك و يوسف يستعصم.

و قد اختلف القراء في قوله "هيت لك" فقرأه الكثيرون بفتح الهاء و اسكان الياء و فتح التاء و قال ابن العباس و مجاهد و غير واحد: معناه أنها تدعوه إلى نفسها، و قال علي بن أبي طلحة... عن ابن العباس: هيت لك: تقول: هلم لك، ... و هي الحوارنية...، و قرأ آخرون: هيت لك، بكسر الهاء والهمزة و ضم التاء، بمعنى = تهيئت لك[2].

نفسها "قال ربي السجن أحب إلي مما يدعونني إليه، و إلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن و أكن من الجاهلين"[3]

"و قال الملك إئتوني به، فلما جاءه الرسول قال: ارجع إلى ربك فاسأله: ما بال النسوة التي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم"[4]

1- المرجع السابق ص 30.

2- أنظر ابن كثير دار الأندلس الجزء الرابع بيروت لبنان ص 19.

3- سورة يوسف الآية 33

4- سورة يوسف الآية 50

"فلما رأى قميصه قد من دبر قال أنه من كيدهن إن ةكيدهن عظيم"[1]

و من الرجال الذين نسبت إليهم صالحون مؤمنون، و منهم كفرة مفسدون بل وردت في وصفا الله سبحانه و تعالى مع المقابلة بين الكيد إلا لهي و كيد المخلوقات ....و يدخل في الكيد صفات كثيرة تمدح و تندم و تطلب تشترك كلها في معاني التدبير و المعالجة و الحيلة...

و قد جاء وصف الكيد في سورة يوسف نفسها منسوبا إلى إخوة يوسف إذ جاء فيها على لسان يعقوب عليه السلام، قال: "يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان عدو مبين"[2].

ثم تبين الدكتور –فتحي عمار- الدلالات أو المعاني التي تحملها كلمة الكيد و جاء منسوبا إلى الله تعالى بمعنى التدبير: "فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذه أخاه في دين الملك إلا أي يشاء الله".

و بعد هذا التعميم في مدلول الكيد مذكورا في القرآن بمفاهيم متعددة... فهو بالنسبة للمرأة يطلق و يراد منه دلالة ثانية و هي صفة مذمومة على كل حال...

و التعليل الثالث: هو أن الرعبة الجنسية عندما تنفصل عن الغريزة النوعية في موعظة أيامها... و لكنها عبث عند المرأة في أوقات حملها و في أيام دوراتها الشهرية و من هنا " معاذ الله" فهي هنا تفيد معارضة الاستجابة لداعية الهوى و الغاوية كأشد ما تكون المعارضة.. إباء، لأنها ثمرة الإيمان.."[3].

و نتوقع كذلك أن تكون سنها أربعين سنة عندما يكون يوسف في الخامسة و العشرين أو حواليها و هي السن التي ترجح أن الحادثة وقعت فيها.

نرجحه لأن تصرف لمرأة في الحادثة و ما بعدها يشير إلى أنها كانت مكتملة جزئيا مالكة لكيدها، متهالكة على فتاها، و نرجحه من كلمة النساء فيما بعد...

"امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه"[4].. و إن كانت الكلمة فتى تقال بمعنى عبد و لكنها لا تقال إلا ولها حقيقة من مدلولها من سن يوسف عليه السلام و هو ما ترجحه شواهد الحال. [و لكن – سيد- يصل إلى مجموعات حقائق حول دوافع المراودة النفسية

1- سورة يوسف الآية 28.

2- تفسير ابن كثير دار الأندلس الجزء الرابع بيروت لبنان ص 20.

3- سيكولوجية القصة في القرآن ص 523 و 533.

4- سورة يوسف الآية 30.

و الاجتماعية كاستنتاج شخصي من خلال تعمقه الفكري في السياق الماضي للآيات القرآنية كدليل نقاني يستقين به للتحقق منه و الوصول إلى دليله العقلي التصوري] أن التجربة التي مر بها يوسف عليه السلام أو المحنة، لم تكن فقط في مواجهة المراودة في هذا المشهد الذي يصوره السياق إنما كانت حياة يوسف عليه السلام حياة مراهقة كلها في جو هذا القصر، مع هذه المرأة بين سن الثلاثين و الأربعين، مع جو القصور و جو البيئة التي يصورها قول الزوج أمام الحالة التي وجد فيها امرأته مع يوسف: "يوسف أعرض عن هذا و استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين"[1].

نجد تفسيرات أخرى للكيد يعنونها الدكتور "فتحي أحمد عمار" ب (الدلالات النفسية و الفلسفية للكيد)[2]"... على أن هذه الكلمة "الكيد" تحمل معاني مختلفة فقد وردت في السورة في ثلاث مواضيع، مرتين على لسان يوسف عليه السلام، و مرة على لسان العزيز في السورة [فالقرآن إذا لم يغيب لحظات السقوط في عرض صورها و مغرياتها و انحلالها بل كان صادقا في تصويرها.

"و راودته التي هو في بيتها عن نفسه و غلقت الأبواب و قالت هيت لك، قال: "معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون"[3]

أن السياق لم يذكر كم كان سنها و كم كانت سنه، فالنظر من باب التقدير، فالسيد قطب، يحاول أن يكشف عن النص الغائب (المحتمل) من خلال النص الحاضر، أي من خلال ألفاظ القرآن و أسلوبه و أرقام و دلالات الآيات السابقة.

لقد كان يوسف غلاما التقطته السيارة رياعته في مصر، أي أنه كان حوالي الرابعة عشر تنقص و لا تزيد فهذه هي السن[4] التي يطلق فيها لفظ غلام، و بعدها يسمى فتى فشابا فرجلا... و هي السن التي يجوز فيها أن يقول يعقوب: "وأخاف أن يأكله الذئب"... و في هذا الوقت كانت زوجة و كانت و زوجها لم يرزقا أولادا كما يبدوا من قوله "أو نتخذه ولدا" فهذا الخاطر، خاطب التبني... فلا بد أن تكون قد مضت على زواجهما فترة، يعلمان فيها أن لا ولدا لهما، و على كل حال فالمتوقع على رئيس وزراء[5] مصر أن لا تقل سنة عن

1- سورة يوسف الآية 29.

2- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني منشأة المعارف الإسكندرية ص 1976/298.

3- سورة يوسف الآية 23.

4- لفظة: السن التي استعملها سيد قطب أبدلناها بكلمة العمر لأنها أبلغ و أدق من الأولى.

5- رئيس الوزراء مصر اللفظ الصحيح هو "عزيز مصر كما ورد في أكثر المصادر و المراجع.

أربعين سنة، و أن تكون سن زوجة حينئذ حوالي ثلاثين.

و في عبارة "هيت لك" هنا قول يحمل –فعل – و هناك رد فعل من الطرف الثاني، بين زليخا و يوسف و هناك قراءة سيكولوجية للدكتور التهامي نقرة، حول هذه العبارة إذ يقول: "...

فعبارة "هيت لك" و إن لم تكن متداولة في الاستعمال لكن السياق القرآني أبان عتما تدل عليه من دعوة مشينة، إنها كناية تربي على الإفصاح و تلميح أفضل دلالة من التصريح مع نزه عما يستهجن ذكره و تقابلها من ناحية رد الفعل عبارة ليتوجه السياق نحو القصر مباشرة في بيت (زليخا) بالتدقيق[1].

المراودة: (أو الغواية) "و راودته التي هو بيتها عن نفسه، و غلقت الأبواب"... [وقبل أن نعرض النص القرآني دائما في ظلال تفسير سيد القطب أجدنا مضطرين إلى العودة إلى كتاب "منهج الفن الإسلامي"[2] لمحمد القطب و كأنك تقرأ تصورات سيد القطب، يعرض منهج القرآن في صياغته لفنيات القصة و التي يجب على النقاد و الدارسين المهتمين بهذا المجلس الأدبي الوقوف على تقنياتها القرآنية كنموذجا جديدا في حقول التربية و الإعلام و التعليم، وخاصة في إبراز دور المرأة و رسالتها الاجتماعية و كيف منحها النص القرآني مساحة شاسعة و حساسة تكون مرجعا معها و زاخرا لا يستغني عنه في حقل الأدب و الفنون، و المتأمل في قصة يوسف يجد أن هذه القصة تضمنت كل عناصر القصة الفنية المعروفة في الشكل أو المضمون، في الحوار أو الوصف، في العقد أو المقدمة أو لحظة التنوير، في رسم الشخصيات أو البيئات. يقول محمد القطب: "....فالقرآن يعرض تلك النفس في جميع حالاتها" حالة القوة، و حالة الضعف، حالة الارتفاع و الهبوط كما يرسم الدوافع المختلفة التي تتناوش نفوس البشر في الأرض قد تدفعهم حينا إلى اللصوق بالطين و نتوج لهم حينا أخذ فرصة الرفعة، و الانطلاق و لكن منشأ النظافة أنه حين يلم بلحظة: الضعف البشري لا يصنع منها بطولة تستحق الإعجاب و التصفيف أنه يعرضها عرضا واقعيا خالصا و لكن يقف عندها طويلا، إنما يسرع ليسلط الأنوار[3] على لحظة الإفاقة،

1- كلمة الأنوار: مصطلح صوفي أراها غير مناسبة إذا كان محمد قطب استعمل بدلها كلمة الأضواء: مصطلح أذي يليق بمشهد قصصي أو مسرحي.

2- دار الشروق – بيروت ص 233.

3- أشير إليها سابقا.

لحظة التغلب على الضعف البشري، و هي في حقيقتها "الإنسان" الذي كرمه الله و فضله على كثير من الخلق و عهد إليه بالخلافة..."[1]

نزلت بالبئر؟ و لكن القرآن يفصح عن شيء من هذه التساؤلات يقتضيها أهمية الحدث الذي يتطلب معرفة بنمو الشخصية الرئيسية بيولوجيا و فكريا]" و جاؤوا أباهم عشاء يبكون، قالوا يا أبانا ذهبنا نستبق، و تركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب، و ما أنت بمؤمن لنا و لو كنا صادقين، و جاءوا على قميصه بدم كذب، قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون"[2]

و قد تعرض الدكتور – التهامي نقرة- للجانب النفسي في قصة يوسف عليه السلام [و حلل ظاهرة الكيد، كيد إخوة يوسف له تحليلا نفسيا "و كان من نتيجة هذا الكبت أن تحرفوا بتفكيرهم، فكل ما كان يهمهم أن الذئب أكله لما ذهبوا يتسابقون و تركوه عند متاعهم.

[ثم يضيف على أن فعلهم هذا يعتبر تبريرا عن ذنب] و قد وقعوا في حالة (تبرير) كما يفعل المذهب يعمد إلى تغطية سلوكاته الغير سوية بأسباب معقولة]. "يا أبانا ذهبنا نستبق، و تركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب، و ما أنت بمؤمن لنا و لو كنا صادقين"[3]

إذا كان الإسقاط هو حيلة يسقط بها المرء نقائصه و عيوبه على الآخرين، فإن القرآن بدى ذلك عن أخوة يوسف،حينما دسى صاع الملك في متاع أخيه و ألقى القبض عليه بتهمة السرقة ليسبقه، دون أن يكشف لهم عن شخصيته.

"و لما بلغ أشده، أتيناه حكما و علما"

[و كان هذا التمكين الذي أكرم الله به –يوسف- كان حصانة لما سيواجهه من محن و امتحانا نفسية و مادية خطيرة و هو يمتلك وسائل دفاع فكرية و علمية و إعائية يعنيه على الصمود في وجه المخاطر و أكبرها مراودة المشاعر من شهوة و عزيزة تنفجر في

1- سيكولوجية القصة قي القرآن

2- سورة يوسف الآية 17.

3- سيد قطب –في ظلال القرآن- من كتاب القرآن نظرية عصرية جديدة، عبد المنعم جداوي.

قصر عزيز مصر.

يوسف كرما و ظلما من حصن الأب يعقوب الذي لا يفتا بذكره و يبكيه حتى يفقد لأجل فراق ابنه عينيه و يصبح يوسف عبدا في قصر غريب و يلج بذلك محنة جديدة و أنها فعلا لمحنة أعظم من سابقتها، و سوف تنتج لها صفقات نرافق فيها الشخصية المحورية و هي تصنع الحدث، فيسمى السرد تابعا لها، فتشق لحالها و نخشى من ضعفها و استسلامها و هي مع هذا و ذاك تعطينا دروسا رائعة في صفات الإنسانية و سمات أخرى لعصمة الأنبياء و انتصاراتهم على موجات البشر]

"و جاؤوا أباهم عشاء يبكون، قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق، و تركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب..."

[إثر تنفيذ جريمتهم الدنيئة، إخوة يوسف و كأنهم يريدون إخفاء بصمات جريمتكم فيختارون ساعة "العشا" في ظلمة الليل يبررون كيدهم و يظهرون دموعا كاذبة، و لكن كيف يعقوب ها الخير من أبنائه؟]

"قال: بل سولت لكم أنفسكم أمرا، فصبر جميل، و الله المستعان على ما تصفون"[1] و أدرك يعقوب من دلائل قصة لم تقع، و يصفون له حالا لم تكن، فواجههم بأن نفوسهم قد حسنت لهم منكرا و ذللته و سيرت لهم ارتكابه، و أنه سيصير حتما محتملا لا يجزء و لا يفزع و لا يشكو، مستعينا با الله على ما يلفقونه من حيل و أكاذيب [و القصة عبر حلقاتها المتتابعة نقفز معها عبر فجوات تتبعها علامات استفهام عديدة يسكت أو يتجاوزها السياق القرآني فيتساءل كم كان عمر يوسف عندما بيع في سوق العبيد بمصر و كم لبث في الجب؟ و كم بيع مبلغا من الدراهم؟ و من الذي باعه؟ هل أخوته أم جماعة أخرى.

تجنبا السياق القرآني بالنفي و التبرير "قال قائل منهم: لا تقتلوا يوسف و ألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين..." و لكن ضميرا واحد فيهم يرتعش لهول ما هم مقدمون عليه فيقترح ما لا يريحهم من يوسف و تخلو لهم وجه أبيهم، و لكنه لا يقتل

1- سورة يوسف الآية 1

يوسف و لا يلقيه في أرض مهجورة يغلب فيها الهلاك، و إنما يلقيه في الجب على طريق القوافل... و لكن هذا كان أقل ما يشفى حقدهم، و لم يكونوا على استعداد للتراجع فيما اعتزموه.

الجب:

"فلما ذهبوا به و أجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب، و أوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا و هم لا يشعرون"[1]

....في هذه اللحظة اليائسة يلقي الله في أنه ناج، و أنه سيعيش حتى يواجه إخوته بهذا الموقف الشنيع، و هم ليشعرون بأنه الذي يواجههم هو يوسف الذي تركوه في غيابة الجب و هو صغير.

"و جاءوا أباهم عشاء يبكون، قالوا: يا أبانا ذهبنا نستبق، و تركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب، و ما أنت بمؤمن لنا و لو كنا صادقين، و جاؤوا على قميصه بدم بكذب، قال: بل سولت لكم أنفسكم أمرا، فصبر جميل، و الله المستعان على ما تصفون"[2]

(فالجواب كان رافدا مهما في تغيير مسرى الأحداث و تحويلها في المكان (البيئة) ليشكل هذا الأخير بسبب غلقه القرآن تدعيما لصدق الرؤيا التي فاجأت يوسف صبيا يرافقه الوحي حافظا و مأمنا لدمن كل المخاطر التي تداهمه لتلون هذه القصة بجو مأساوي حزين مشحن بالمحن محنة الإخوة، محنة الجب و زليخا لاحقا ثم السجن... فالجب يصبح منبع حياة و نجاة ليوسف من كيد إخوته لتأخذه بعض السيارة في اتجاهها إلى مصر فمن البيئة الفلسطينية ينتزع بعد الرؤيا مباشرة يواجهها أو يرفع الستار على مشهد رهيب، ترتسم على وجوه شخصياته و حركاتهم و مشاعرهم بل و حوارهم سمات المكيدة الشنعاء في حق أخيهم من أبيهم و هو طفل صغير، بريئ لا يعلم شيئا يحملهم على هذا الفعل مشاعر الكره و الحمد على حي يعقوب "إذ قالوا ليوسف و أخوه أحب إلى أبينا منا و نحن عصبة"[3]

1- سورة يوسف الآية 10.
2- سورة يوسف الآية 15.
3- سورة يوسف الآية 8.

أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله: "أقتلوا يوسف أي أطرحوه أرضا" و هما قريب من قريب فطرحه في أرض نائية مقطوعة مفض في الغالب إلى الموت و لماذا "يخل لكم وجه أبيكم" فلا يحجبه يوسف، فهم يريدون قلبه...(و أمام هذه القراءة الاستشراقية عبر صفحات "الضلال" ارتدينا أن نفسخ المجال و المكان في عنصر السرد القصصي لبصمات سيد قطب احتراما للأمانة العلمية و اعترافا بعمق التذوق الفني في أداء التصوير التي أمتلكها سيد قطب بحكم دلالته الأدبية و المنهجية على النص القرآني.

"و تكونوا من بعده قوما صالحين"... و هكذا لما خلا في صدورهم الحقد برز الشيطان ليقول لهم: أقتلوا... و التوبة بعد ذلك تصلح ما فات... إنما تكون التوبة من الخطيئة التي يندفع إليها المرء غافلا جاهلا غير ذاكر، حتى إذا تذكر ندم و جاشت نفسه بالتوبة. أما التوبة الجاهلية التوبة التي تعد سافا قبل ارتكاب الجريمة... فليست بالتوبة، إنما هي تبرير لارتكاب الجريمة يزينه الشيطان و لكننا نتساءل هل الجماعة كلها شاركت في تنفيذ هذه المكيدة.

و يعلمك من تأويل الأحاديث و يتم نعمته عليك و على آل يعقوب كما أتمها على أبويك و من قبل إبراهيم و إسحاق إن ربك عليم حكيم"[1]

و التأويل هو معرفة المآل فما الأحاديث أقصد يعقوب أن الله سيختار يوسف و يعلمه و يهبه صدق الحس و نفاذ البصيرة ما يدرك به من الأحاديث مآلها الذي تنتهي إليه... و هو إلهام من الله لذوي البصائر المذكورة النافذة.. أم قصد بالأحاديث الرؤى و الأحلام كما وقع بالفعل في حياة يوسف فيما بعد كلاهما جائز و كلامهما يتمشى مع الجو المحيط بيوسف و يعقوب.

...و نحو نتصور طبيعة هذه الرؤى على هذا النحو ...فإن حواجز الزمان و المكان هي التي تحول بين هذا المخلوق (أفضل استعمال "إنسان" بدل "مخلوق" لما فيها من غموض و إخلال من شأن الإنسان إنا و بين الرؤى ما نسميه الماضي أو المستقبل أو الحاضر المحجوب...

و أن حماسة ما في الإنسان لا نعرف كيفما تستيقظ أو تقوي في بعض الأحيان، فتغلب على حاجز الزمان و ترى ما وراءه في صورة مبهمة، ليست علما و لكنها استشفاف كالذي

1- سورة يوسف الآية 6.

يقع في اليقظة لبعض الناس. و في الرؤى لبعضهم، فيتغلب على حاجز المكان أو حاجز الزمان، أو هما معا في بعض الأحيان، و إن كنا في نفس الوقت لا نعلم شيئا عن حقيقة الزمان.

الرؤيا:

تبدأ قصة سيدنا يوسف – عليه السلام- بمقدمة فريدة تميزت عن باقي القصص القرآني بقوله تعالى: "نحن نقص عليك أحسن القصص...."[1]، و من العجيب أنها القصة الوحيدة لم تتكرر في سور القرآن الكريم و جاءت مستوفية لعناصر القصة، بل كما يؤكد السيد قطب، تمثل النوذج الكامل لمنهج القرآن في الأداء الفني للقصة، بقدر ما تمثل النموذج الكامل في الأداء النفسي و العقدي و التربوي...

ثم يأتي مباشرة بعد هذه الآية.. سياق قرآني يمثل في عرضه لقصة يوسف التي هي أحسن القصص، بافتتاحية تمثلها الرؤيا، "إذ قال يوسف لأبيه: يا أبتي إني رأيت أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر رأيتهم لي ساجدين"[2].

و الرؤيا وردها كافتتاحية لقصة يوسف تمثل المنهج القرآني في عرضه للقصة الفنية و تمثل بذلك العقدة كعنصر تتطلبه التقنيات الحديثة للقصة والرواية.

و الرؤيا رآها يوسف و هو صبي أو غلام، و قصها على والده يعقوب عليهما السلام، لهذا أدرك يعقوب بحسه و بصيرته أن وراء هذه الرؤيا شأن عظيم لهذا الغلام... و لم يفصح عنه سياق القصة... و لهذا نصحه بأن لا يقص رؤياه على إخوته خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير – غير الشقيق – فيجد الشيطان من هذا ثغرة في نفوسهم فتمتلئ نفوسهم بالحقد فيدبروا له أمره يسوؤه: " قال: يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا"[3]

و يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم بحكم جو النبوة الذي يعيش فيه فتوقع أن يكون يوسف هو الذي يختار من أبنائه من نسل إبراهيم لتحل عليه البركة و تتمثل فيه السلسلة المباركة في بيت إبراهيم فقال له: "و كذلك يجتبيك ربك".

1- سورة يوسف الآية 03.

2- سورة يوسف الآية 04.

3- سورة يوسف الآية 05.

فقد نظر سيد قطب إلى النص القرآني كوحدة موضوعية متناسقة و متكاملة. لقد أقبل على القرآن و سوره يستكشف معانيه المتخفية بوسائله الكامنة فيه و بما يمتلكه من مواهب أدبية و فكرية واسعة جعلته يتحرر من قيود الفكر و التبعية أو التحيز جاعلا الخلاف الفقهي و المذهبي جانبا.[1]

كما أن سيد قطب –رحمه الله- اعتمد في تفسيره لنصوص القرآن على التفسير بالمأثور كما أكد ذلك محمد الغزالي، و بعد اكتشاف سيد قطب لنظرية التصوير الفني في القرآن الكريم دراسة رائدة حول أسرار و أساليب التعبير القرآني عرضها فنيا رائعا معبرا عن خواطره النفسية و أفكاره النقدية بأسلوب أدبي راق.

و سنتذوق جمالية هذا الأسلوب عبر وقفاتنا على مشاهد قصة يوسف في ظلال القرآن الكريم.

واحد كانت معظمها أحادية النظرة في استجلاء الإعجاز القرآني غلب عليها الجانب البلاغي نجد مرة أخرى محمد الغزالي يعلل هذه الظاهرة بـ (انقلاب الوسائل إلى غايات):"في تصوري أن ما كتبوا في القصص القرآني غلب عليهم إبراز الجانب الفني و أخذوا بالناحية البلاغية حتى كادت أن تكون هي الهدف في أعمالهم مع أنها الوسيلة ... لذلك فقد تكون المشكلة في انقلاب الوسائل إلى غايات...لقد غابت الأهداف و المقاصد و تركز الانشغال بالوسائل و الأشكال من القصص الشهود الحضاري و التاريخي... فأصبحت بالشكل التي هي عليه: معوقات و حواجز بين المسلم و كتابه الخالد".[2]

كما أن هذه الظاهرة أوقفت العديد من الباحثين و النقاد و الدارسين و من بينهم الدكتور عبد الحميد جيدة معللا ذلك بأنه: (لابد أن نشير إلى حقيقة تاريخية، و هي أن البلاغيين و النقاد العرب لم يهدفوا بكتاباتهم إلى الكشف عن مواطن الجمال و التعبير الشعري أو القرآني أو النثري، بل كانوا يهدفون في كتاباتهم إلى تقنيين قواعد التعليم العربية المختلفة لغاية تعليمية و لحفظ الأساليب العربية كما جاءت..)[3]"

1- المرجع السابق ص 61.

2- الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ص 74 مؤسسة نوفل – لبنان ط الأولى.

3- فن القول ص 165 دار الفكر العربي.

إلى جانب هذه المأخذ التي وقع فيها النقاد العرب القدامى نجد الأستاذ أمين الخولي يمدنا بنظرية إلى القرآن كأثر أدبي فني (و ينبغي أن ننظر إلى هذا اللسان العربي لعروبته و لغته و ذوقه و فنه، لا شيء غير هذا من عصبيته دينه أو عصبية جنسه أو ما إلى ذلك من هو يفسد الرأي أو يضل السبيل إلى الحكم الفني الصحيح).

و إن كان الأستاذ الخولي يميل إلى تناول القرآن بلغته العربية و هذا باب آخر بعيد عن دراستنا.

كيف نتعامل مع تعدد التفاسير و وفرتها في دراستنا لقصة يوسف؟

سؤال ظل يحيرنا و يقلقنا و نحن إزاء نص قرآني مقدس تشدنا إليه متعة اكتشاف نموذج "أحسن القصص" و استجلاء التقنيات الحديثة و الجديدة التي تحولها هذه القصة من جهة و من جهة أخرى يواجهنا هاجس الخوف من السقوط في متاهات فكرية قد تغيب عن الوسائل الموضوعية في دراستها و نحن لا زلنا في أوليات خطواتنا الدراسية، قد لا نرتقي إلى مستوى البحث العلمي المنهجي فهل بإمكاننا إخضاع النص القرآني للمناهج الحديثة؟

و أمام النص القرآني نقدم دراسة القصة، نتعرف على الأسلوب السردي من حيث خصائصه و طبيعته و سلمه الجمالي في حلقات القصة، لا نملك سوى وسيلة "السرد و الوصف" لا غير لنترك التعقيبات تمليها الدراسات القرآنية الحديثة، مستعينين بها للوصول إلى الكشف عن تجليات هذا الأسلوب و تفاعله مع العناصر الفنية في قصة يوسف عليه السلام.

و لنجيب على السؤال الذي طرحناه سابقا يواجهنا كتاب لمحمد الغزالي بعنوان: "كيف نتعامل مع القرآن؟ "إذ يجيب قائلا: "يمكن حصر الثقافة القرآنية الآن في عدد من المدارس، فهناك مدرسة الأثريين، و أصحاب التفسير بالمأثور، و هي المدرسة يمثلها الآن (ابن كثير) و تفسيره شائع و إن كان ابن جرير الطبري أرقى منه و تفسيره أدق، و الذي يعيب هذه المدرسة في نظري أنها ربطت تفسير الآيات بالأحاديث أغلبها ضعيف، فكانت مصيدة حالت دون انطلاق الفكر القرآني إلى أهدافه الشاملة في تفسير و وسيلة شيوع الأحاديث الضعيفة التي بنى عليها المحدثون فكرهم القرآني..."[1]

1- محمد الغزالي "كيف نتعامل مع القرآن "دار الانتفاضة للنشر الجزائر ص 93.

الإستأناس أحيانا بألفاظ من البيئة التي تجري فيها أحداث القصة، في ذلك ينقل القارئ أو السامع زمنيا و مكانيا فتتضح الصورة و تتجسم الأحداث[1].

سيد قطب، كأداة متميزة في النص القرآني، هي كلمة جامعة حسب تصورنا لمعاني الحركة و اللون و المشهد و الصوت الذي يلون حلقات القصة القرآنية و هذا سننطلق إليه بالدراسة من خلال أسلوب السرد في قصة يوسف في صفحات الفصل الثاني و من الخصائص التي نستخلصها من القصة القرآنية:

عدم التحديد في ذكر الأسماء و الحوادث[2] (و هذا ما لم أوافق عليه المؤلف، ذلك أن تقنيات الأسلوب القرآني يخالف هذا الاستنتاج، فقد حدد القرآن أسماء الشخصيات المحورية و نصوص القرآن غنية بذلك، مثلا اسم النبي الخليل إبراهيم، و إسماعيل و نوح... يوسف الخ، و لكنه سكت عن ذكر بعض الأسماء الثانوية كاسم السجينين في قصة يوسف، و إسم الملك أيضا، و نفس التركيز تلحظه في سرد الحوادث التي لها علاقة قوية بالحدث و بالشخصية الرئيسية).

الإخلال في ذكر الأسماء الأصلية: (كلمة: الإخلال التي وظفها الباحث، لا تليق بقداسة النص القرآني، بل نجد أن القرآن كان دقيقا و صادقا فو عرض الشخصيات و الأحداث و ذكر الأسماء الأصلية، و ربما تراجع عن ذكرها في مواقف لحكمة متخفية في النص القرآني، و أحيانا أخرى نجد القرآن يشير إليها بأسلوب غير مباشر، إما لأصحابها و لطفا بهم كامرأة العزيز فلم يذكر القرآن اسمها "زليخا"، فلقد كان لها جهدا وسعيا في رعاية –يوسف- و قد كانت خاتمة غوايتها توبة، أفلا نجد في تغييب النص القرآني لاسم المرأة المعتدية على عفة ابن بريء و طاهر، عظمة و رفعة الموقف الإلهي نحو المذنبين و الظالمين من البشر الضعاف و رحة تنساب مع السياق القرآني العصيب لتقدم قيما معرفية و أخلاقية يوزعها الأسلوب القرآني مجانا للخلق دون استثناء).

دليل فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة.[3]

1- د/ محمد حسن مصطفى "الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية" مؤسسة شباب الجامعة ص 199.

2- نفس المرجع ص 108.

3- يتفق هذا التفسير مع تفسير التنوير و لكن سيد قطب في الظلال ينسب القول إلى امرأة العزيز معتمدا على تفسير بن كثير.

و من خصائص الأسلوب في قصة يوسف اقتباس كلمات البيئة نفسها، لنقل للقارئ واقع البيئة و المجتمع بعاداته و بتقاليده (و من الكلمات التي تدل على البيئة و تهدف إلى الكشف عن الإعجاز البياني في القصة القرآنية.

من ذلك قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: "وقالت هيت لك"[1] على لسان امرأة العزيز، فهذه اللفظة التي جرت على لسانها ليست عربية و لكنها مستوحاة من البيئة الفرعونية القديمة حيث كانت تدور أحداث القصة و معناها بالسريالية "أنا ملك لك"... و قد روى ابن العباس و الحسن أنها كلمة سريانية، معناها تدعوه إلى نفسها. قال أبو عبيدة، كان الكسائي يقول: هي لغة لأهل حوران وقعت إلى أهل الحجاز معناها: تعال قال أبو عبيدة: فسألت شيخا عالما عن حوران فذكر أنها لغتهم، فالأصل في هذه الكلمة أنها من البيئة المصرية القديمة حيث كانوا يتحدثون باللغة القبطية و قيل أنها بالعبرانية – هيالح أي،عبرة القرآن[2].

و أيضا في إطار الأسلوب اللغوي جاء في الآية 72 من سورة يوسف: "قالوا: نفقد صواع الملك و لمن جاء به حمل بعير". في لغة العرب أن البعير هو الحمار و قيل هو الجمل3 و من مقاتل أن البعير كل ما يحمل عليه بالعبرانية.

و قيل أن نطوي هذه القصة من صفحات البحث، نشير إلى أن التصوير الفني الذي إكتشفه.

خصائص الأسلوب في القصة القرآنية:

ينفرد الأسلوب القرآني في عرضه لقصص الأنبياء و الأمم الغابرة، بخصائص جمالية فنية في طرية العرض و التصوير و الأداء، للوصول إلى الخطاب المباشر و المواجه للقلب و الفكري في نفس الإنسانية الواعية. و القصة لأجل هذه الغاية السامية ترسم الإنسان كقوة فاعلة و مغيرة تضع الحدث في أعماق الصراع الاجتماعي بين قيمتين متناقضتين إلى الأبد: قيمة الخير و قيمة الشر.

و القصة هي وجه المجتمع و هي المرآة العاكسة للشريعة الاجتماعية و للقيم السائدة و المتفاعلة فيها، و الصراعات التي تتجاذبها و طابع البيئة التي يميزها.

1- سورة يوسف الآية 23.

2- د/محمد حسن مصطفى "الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية" مؤسسة شباب الجامعة ص 94.

1- تنوع طريقة العرض.
2- تنوع طريقة المفاجئة.
3- الفجوات بين المشهد و المشهد التي يتركها.

تقسيم المشاهد و قص المناظر، و قصة يوسف قد قسمت إلى ثمانية و عشرين مشهدا[1]، و من خصائص الأسلوب اللغوي في قصة يوسف (...من ذلك ما ورد في قصة يوسف بعد أن دبرت المؤامرة من جانب إخوة يوسف و ألقوه في غيابات الجب، ذكر قوله تعالى: "فأكله الذيب" فإن قال قائل: كان الأجدر أن يستخدم لفظه "إفترسه" من "أكله: لأن الافتراس يستعمل في فعل البارع).

و إخوة يوسف أنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلا، و أتى على جميع أجزائه و أعضائه، فم يترك مفصلا و لا عظما، ذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم بأثر باق من يوسف يكون بمثابة شاهد.

و قد يكون بين الشخصية و عنصرا آخرا كالجن أو الطير أو الشيطان...و بالحوار المباشر حينا و غير المباشر حينا و المتسلسل المتساوق الذي لا يترك أمرا إلا و تحدث به، و المنقطع الذي يترك بعض الفجوات للقارئ ليملأها من طبيعة تفكيره كانت تجري القصة القرآنية[2].

و كان أسلوب الحوار في القصة القرآنية هو الأداة الفنية التي تحرك المشاهد و تنقلها إلى الملتقى مفعمة بالحركة و الانفعال، و لقد خصص المفكر مالك بن نبي في كتابه (الظاهرة القرآنية).

دراسة موازنة حول قصة يوسف بين الرواية القرآنية و الرواية الكتابية توصل فيها كل إلى نتائج علمية واضحة من بينها روحانية النص القرآني، و يرجع ذلك إلى أسلوبه الرفيع و البليغ، و ثانيا: مبالغة الرواية الكتابية في وصف الشخصيات المصرية الوثنية بأوصاف عبرانية، فالسجان يتحدث بوصفه موحدا[3].

1- د/محمد حسن مصطفى "الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية" مؤسسة شباب الجامعة ص 180-183-187-188.
2- د/بكري شيخ أمين "التعبير الفني في القرآن" ص 223 دار الشروق ط4 1980.
3- مالك بن نبي التورات الفصل 39 الجملة 24 ص 252.

مفهوم القصة : لغويا : لسان العرب

يطلق إسم (القصة) عادة في اللغة على النمط الأدبي الروائي le roman لكنه يستعمل كذلك لتعبير عن تسلسل الاحداث في مختلف الأنماط الأدبية أو حتى الفنية بصفة عامة ، بينما يطلق إسم (السرد) على العملية التي يقوم بها السارد le narrateur حين يروي وكذالك لإستناد هاتين الكلمتين إلى التقاليد الروائية الشفاهية بينما تعتبر الكلمة الاولة بنون تمييز عن السرد الشفاهي أو الكتابي[1] .

والسرد يركز على العناصر اللغوية والخطابية التي يقوم بها السارد لينتج من خلالها النص القصصي

وللسارد طرق ووسائل يباشر بها إنتاجه القصصي يمكن إيجازها في ما يلي :

زمـــن الســر: يقوم على أربعة عناصر :

1- السرد التابع : يقوم فيه السارد بذكر أحداث حملت قبل زمن السرد (أحداث ماضية بصفة ماضية)[2] .

2- السرد المتقدم : هو سرد إستطلاعي في صيغة المستقبل نادر في تاريخ الأدب[3] .

3- السرد الاني : سرد في صغة الحاضر أحداث القصة أو الحكاية تدور في أن واحد[4] .

4- السرد المدرج : أي النوع الأكثر تعقيدا ، بحيث أنه يبنى من أطراف عديدة ، تكون الرسالة في نفس الوقت وسيط وعنصرا في العقدة أي الرسالة قصة إنجازية كوسيلة تأثير في المرسل إليه .

كما أن السرد يقوم على وظائف مختلفة هي :

---

1 سمير مرزوقي جميل شاكر (مدخل إلى نظرية القصة) ـ ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر ـ الدار التونسية للنشر ص 16 ـ 17 .

2 المرجع السابق ص 100

3 المرجع السابق ص 101

4 المرجع السابق ص 102

01- وظيفة السرد:

2- وظيفة التنسيق ويعني التنظيم الداخلي للخطاب القصصي (التذكير بالأحداث أو سبق لها ربط بها أو تأليف بينها سوف اقص عليك)[1] .

3- وظيفة الابلاغ : إبلاغ رسالة للقارئ أو مغزى أخلاقيا أو إنسانيا .

4- وظيفة إنتباهية : وهي وظيفة يقوم بها السارد تتمثل في إختبار ووجود الاتصال بينه وبين المرسل إليه .

5- وظيفة إستشهادية : وتظهر هذه الوظيفة مثلا حين يثبت السارد في خطابه المصدر الذي إستمد منه معلوماته أو درجة ثقة ذكرياته .

6- وظيفة إيديولوجية أو تعليقية : نقصد هنا النشاط التفسيري للراوي وهذا الخطاب التفسيري أو التأويلي يبلغ ذروته في الروايات المعقدة على التحليل النفسي كأن تشعل نظرة إمرأة نيران الحب في قلب البطل فيوقف الراوي بسرده ويتحدث عن الحب بصفة عامة أو يفسر أسباب نشوء الحب عند بطله .

7- وظيفة فهامية أو تأشيرية : وتتمثل في إدماج القارئ في عالم الحكاية ومحاولة إقناعه وتبرزهذه الوظيفة خاصة في الادب الملتزم[2] .

8- وظيفة إنطباعية أو تعبيرية : ونقصد هنا تبوء السارد المكانة المركزية في النص وتعبيره عن أفكاره ومشاعره الخاصة تتجلى مثلا في أدي السيرة الذاتية (أنظر الأيام لطه حسين) .

---

1 المرجع السابق ص 110 .

2 طريق تحليل السرد الأدبي ـ نصوص مترجمة ـ منشورات إتحاد كتاب المغرب سلسلة ملفات ، ط1 الرباط 1992 ص 123ـ 126

بعد عرضنا لنظرية السرد بإيجاز وجدنا أنه من الأنصاف العلمي في منهجية دراستنا النظرية والتطبيقية أن نستعين بنص مترجم انتقائي للكاتب آن بانفليد بعنوان : - الأسلوب السردي ونحو الخطاب المباشر والغير مباشر – والذي ترجمه بشير القصري .

ويؤكد (تاتو دوروف) من حقيقة نفس الشيء (1960) إذ يقول (إن العمل الأدبي هو خطاب في نفس –الوقت- الآن) ، إذ يوجد سارد يروي القصة وهناك في مواجهة قارئ يتلقاها ويهدي إليها [1] .

من يلح مرة أخرى :

وهاتان الصورتان (صورة السارد وصورة القارئ) خاصتان بكل عمل يقوم على التخيل1

3- وظيفة الإبلاغ: إبلاغ رسالة للقارئ أو مغزى أخلاقيا أو إنسانيا.

- إن القصة ذات الأسلوب السردي منذ تطور الرواية كان بإمكانها أن تخضع للوصف باعتبارها (الوسيلة) سلسلة من المحاولات المتتالية على المتطلبة التي تفرض وجهة النظر عن طريق قيد لكل نص واحد يوجد سارد واحد وقيد إقصاء هذا السارد الوحيد وتسمح الرسائل واليوميات الشخصية والتحقيقات النصوص المنفصلة والشهادات الروائية .

- فهذا السارد المتواري يطل ذات النص الواعية .

- طبعا إذا كان السارد هو المتكلم الرئيسي (الذات الواعية) داخل نص من النصوص فإن مثالا وحيدا للضمير المسند إلى المتكلم في وضعية (أنا) وإلى عنصر تعبيري خارج الخطاب المباشر يتضمن ساردا بعينه غير أن الأسلوب غير مباشر[2] .

---

1 المرجع السابق ص 147 .

2 المرجع السابق ص 147

ـ الحل يظهر باستمرار داخل نصوص لا يوجد فيها أي سارد مسند إلى ضمير المتكلم بشكل ظاهر[1].

ونحن نستعرض هذه النصوص المترجمة تواجدها في دراستنا التطبيقية صعوبات عويصة لأسباب عديدة أهمها ندرة الدراسات الحديثة حول أسلوب السرد كنظرية جديدة في حيز التنظير والتحليل والدراسة فتداعت في أذهاننا أسئلة متراكمة، هل تنطبق جل هذه النصوص على النص القرآني ؟

كيف تتجلى تقنيات السرد داخل قصة سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ ؟

فكانت أجوبتنا تقليدية تقليدية تحاول أن تقترب من الموضوعية في غياب المنهج الدراسي للنص القرآني وفي زحمة المناهج وتعددها.

ومن التعقيبات التي يمكن أن أواجه بها بعض هذه النصوص : يقول بانفليد ... (صورة السارد وصورة القارئ) خاصتان بكل عمل يقوم على التخيل .

ونحن كما نعلم بأن النص الأدبي الفني غير النص القرآني والسارد الذي (هو ذات الله) لا تقوم صورته على التخيل ، لأن النص القرآني لون من ألون الخطاب الإلاهي له مميزاته وخصائصه الكامنة فيه ولم تستمد من نص أخر لأنها طريقة الوحي تنافي تماما مخيلة المبدع الذي يتركز على مساحة واسعة من الخيال كعنصر أساسي وجمالي في عملية الإبداع[2] .

كما نلاحظ أيضا نص أخر يتكلم عن وظيفة السارد داخل نظرية الأسلوب السردي: وهكذا فإن السارد هو المتكلم الذي لا يتغير بالنسبة للتعليل... تترابط فيما بينها ، والذي بإمكانه أن يقحم متكلما أخر داخل مناسبة معينة .

---

1 طريق تحليل السرد الأدبي ـ نصوص مترجمة ـ منشورات إتحاد الكتاب ـ المغرب ـ ط1 الرباط 1992 ص 148 .

2 المرجع السابق ص 149 .

و بإمكان متكلم يتم ذكره مباشرة أن يصير ساردا عقيدا على امتداد الاستشهاد المذكور وبهذا المعنى يمكن أن "توجد نصوص داخل نصوص" بين مزدوجتين نظرا لأنه لا تنطبق على النص ألقرآني فمصطلح تداخل النصوص أو (الناص) كمصطلح حديث بين باحثين وعند بارت "يكون هذا على مستوى النصوص الإبداعية كالرواية والقصة ... والنص القرآني نص واحد لمخاطب واحد هو الله[1].

لهذا فإقحام مثل هذه النصوص على النص القرآني أمر ليس بالهين لأن طبيعة النص المقدس تختلف من النصوص الأخرى ولذلك تشكل صعوبات عديدة للدارس في مثل مخاطرته للدارسة كهذه، اخترت أن أقدم بعض النصوص من قصة يوسف تعتمد على الحوار كعنصر أساسي لنظرية السرد وكوسيلة مفضلة للأسلوب السردي قصد استكشاف بعض التقنيات التي يتميز بها أسلوب السرد بالاعتماد على بعض الوظائف السردية السابقة بمعنى هذه النظرية في طور البحث والإثراء ونظر الباحثين تمدهم بأفاق معرفية جديدة في الحقول الدراسية المختلفة (... وقد وجه النقد الحديث اهتمامه لهذه الغاية إلى السارد لما كان حضوره أو غيابه تأثير حاسم على بنية المحكي ، وقد الأمر يتعلق من خلال ذلك بالكشف عن الشروط والطريقة التي يظهر بها السارد ، وإن مجمل ما اقترحناه ليس معمقا بما فيه الكفاية لكي يدعي انه حل كل القضايا الهامة ، غير أنه يمتلك من الدقة ما يجعله قابلا للمعاينة ويجعله فاتح أفاق للأبحاث اللسانية مستقبلا حول قضايا الأسلوب السردي[2].

وقد أثار الدكتور عبد الملك مرتاض إلى علاقة السارد بالقارئ أو المستمع والسارد الروائي فيما يزعم "رولان بارت" ليس هو المؤلف الحقيقي المشكل هو لحم ودم وعقد ، من أجل ذلك لا ينبغي له أن يلبس به التباس ويصطنع السارد من ضمن ما يطيع ثلاث شفرات في نشاطه هي أنا ــ هو ــ أنت

1- ألف ليلة وليلة (تحليل سيمياني تفكيكي لحكاية جمال بغداد) ديوان المطبوعات الجامعية—الجزائر – 1993 ص85.

2- الكاتب أصله هندي "وضعه بيد باء"الفيلسوف رغبة في إصلاح امتلك,العاهد المستبد وجعله مع ألسنة الطيور و الحيوان أنظر إلى المرجع السابق ص15.

ويعتبر كتاب كليلة ودمنة2 الذي ترجمه عن الفارسية " عبد الله بن المقفع" ذا " طابع علمي " .وقد انتقد الدكتور محمد حسن مصطفى ـ رأي المفكر " أحمد تيمور" حول قصة (عنترة) قائلا حيث ذكر أن القصة من الوجهة التاريخية غير موثوق بها ففيها كثير من الخلط والخلط وهي فوق ذلك مفككة الحوادث لا رابط تربط بعضها البعض[1].

فكان تعقيب الدكتور " محمود حسن مصطفى "

ويصطنع السارد من ضمن ما يطيع ثلاث شفرات في نشاطه هي أنا- هو- أنت1.

ويعتبر كتاب كليلة ودمنة الذي ترجمه عن الفارسية "عبد الله بن المقفع"ذا"طابع علمي".وقد انتقد الدكتور محمد حسن مصطفى- رأي المفكر "أحمد تيمور"حول قصة (عنترة) قائلا حيث ذكر أن القصة من الوجهة التاريخية غير موثوق بها ففيها كثير من الخلط والخلط وهي فوق ذلك مفككة الحوادث لا رابطة تربط بعضها بعض3.

فكان تعقيب الدكتور "محمود حسن مصطفى"وقد نظر إليها من حيث الصياغة و الأسلوب و هذا في رأيي لا يكفي لأننا لا نحكم على القصة بالغلط لمجرد عدم تسلسل الحوادث أو دخول شيئ من الخيال فيها .فالقصة ذاتها قد ينقصها شيئ من الواقعية و تغرق في الخيال و تكاد لا تخلو من إضافات و مبالغات معقولة,وقصة (عنترة)التي يتداولها الناس مليئة بالأحداث البطولية الرائعة التي تجعل القارىء يعيش في أحداثها وكأنه يتابع فيلما سينيمائيا مشوقا[2].

الإتجاه الأسطوري في القصة:

السؤال الذي يداهمنا ونحن نقبل على دراسته في القصص القرأني: كيف يمكن لنا نحن إزاء قراني مقدس ان نفسر قصة - سيدنا يوسف - تفسيرا أسطوريا ؟

3محمود تيمور –دراسات في القصة و المسرح –ص35 المرجع السابق ص21.

4- المرجع السابق ص21.

وما هي النصوص والدراسات التي برر بها أصحاب هذا الاتجاه أقوالهم وتأويلاتهم لهذا القصة القرآنية؟

علما أن الأسطورة في إبداع من وحي الخيال، و يعمد إلى تشويه الحقائق وقتل أحداثها التاريخية.و القارئ أمام النص القرآني .من خلال وقفاته على مشاهد القصة ,يجد فجوات غير مكتملة يسبح فيها الخيال ليملأها بتصور صادق نابع من قداسة هذا النص أولا من صحة أحداثه ووقائعه دون زيغ أو تجني ومن رواد الاتجاه الأسطوري نجد الدكتور "غالي شكري"في كتابه"أزمة الجنس في الرواية العربية"فسر قصة يوسف عليه السلام تفسيرا[1] .

أسطوريا متجنبا على النص القرآني "الجنس في القصة استخدام للوعظ و الإرشاد وتغليب للخير على الشر.

فهو يشير إشارة مباشرة على أن القصة القرآنية أسطورة للمتعة والتسلية كما أن بعض المفسرين أدخلو الحقيقة في الخيال منها مثال: (أن يوسف عليه السلام تزوج و أنجب وأوفى ابنه أن يلمس جسد عمه لكي يهدأ)[2].

الفردوسي تعرض لأسباب نزول السورة و بشارة جبرائيل لراحيل "والدة يوسف "كما أتتقصة يوسف و زليخا في مقدمة المقطوعات الشعرية القصصية التي استوحت حكايتها من قصة يوسف[3].

ويوسف و زوليخا، لعبد الرحمن الجامعي، ألحت أيضا منظومة على الجانب الأسطوري لكن من زاوية زليخا، هذه المنظومات خالفت ما ورد في القرآن بما أدخلته من نفس أسطوري وهي على قصة يوسف، و كذلك بما نقلته من قصص إسرائيلية فخلطت الحقيقة بالخيال.

---

1 محمود تيمور –دراسات في القصة والمسرح-ص12

2 تفسير الطبري –مجمع البيان في تفسير القرآن-ج13ص78.

3 فتحي عامرأحمد المعاني الثانية في الأسلوب القرآني – منشأة المعارف بالأسكندرية 1976/ص23.

ومن النقاد الذين رفضوا الإتجاه الأسطوري في القصة القرآنية .نجد الدكتور فتحي عامر (ومما يجدر ذكره في هذا المقام بطريقة الإيجاز تلك التأويلات التي تأولها كثير من الباحثين في قصص القرآن ,وتلك النتائج العلمية التي توصل إليها بعضهم كوجود القصة الأسطورية على أنها لون من ألوان القصص القرآني تهدف إلى العظة الدينية في نفوس الأفراد والجماعات ,والنظر إلى التاريخ بمقياس النظرة الفنية التي تفي بالتصوير ورسم الملامح معتمدة على عناصر من الواقع أو الخيال ,كما يقرره النقد الحديث في فن القصة[1].

ولكن الرد القرآني كان قويا في مواجهة الفكر والجدان وإثبات البرهان العقلي في قوله تعالى:"لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل.....".

أسلوب القصة عند العرب:

القصة تتصل اتصالا وثيقا بحياة الناس ومما يمرون به من ظروف وأحوال معيشية وتقوم على سرد الحوادث وارتباطها بأسلوب خاص له مميزاته تتباين فيه المؤلفون في طريقة العرض و السرد للأحداث واختيار الألفاظ و صياغة المعاني إلى غير ذلك من المميزات[2].

والقصة هي الحياة عندها يتجسد أو تجسد في أحداثها الإنسان و عامل التغيير الحركة و الانفصال و الصورة و الصوت بواسطة اللغة و ذلك بأسلوب سردي يشمل نسيج القصة من بدايتها إلى نهايتها و الفن القصصي يضم القصة والأقصوصة والرواية والحكاية فلا يفرغ القارئ منها ألا وقد ألم بحياة البطل أو الأبطال في مراحلها المختلفة أما الأقصوصة فهي تدور في نطاق ضيق محدود فهي قصة قصيرة يعالج فيها الكاتب جانبا من الحياة لكل جوانب هذه الحياة فهو يقتصر على سرد حادثة أو بضع حوادث يتألف منها الموضوع مستقل بشخصياته ومقوماته[3].

1 د/محمد حسن مصطفى تقديم حسن عون ص9 مؤسسة شباب الجامعة"الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية".

2 المرجع السابق ص10.

3 المرجع السابق ص14.

ولقد ترجم عبد الله بن المقفع من الفارسية و الهندية إلى العربية بحكم تأثر العرب وروايات الفرس والهنود ومن أمثلة ما نقل العرب عن الفارسية كتاب(كليلة ودمنة)وكتاب (رستم واسفنديار وكتاب الأدب الكبير)... ومن أمثلة ما نقلوه عن الهندية (سندباد الكبير) و (سندباد الصغير ...) [1].

وقد بلغ كتاب (الف ليلة وليلة) شهرة وعالمية وذلك من خلال براعة القص الذي تميز به ودقة رسم الشخصيات وتحديد البيئة إلا ان هذه القصص غلب عليها العاطفي الوجداني والخيالي ، وتضمنت جانبا شعبيا بسهولة ألفاظه ومتعة أسلوبه وقد تطرق الدكتور عبد المالك مرتاض .

كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون . [2]

ونجد المؤلف يقف وقفة متبصرة عند هذه الآية معتمدا على (فخر الرازي)* (و/ نظر قولــه : ما كان حديثا يفترى " فيه قولان الأول أن المراد الذي جاء به وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصلح منه أن يفتري لأنه لم يقرا الكتب ولم يخالط لعلماء فمن المجال أن يفتري هذه القصة بحيث تكون مطابقة لما ورد في التوراة من غير تفاوت الثاني أن المراد أنه ليس بكذب في نفسه لأنه لا يصلح منه الكذب ثم أنه تعالى أكد كونه غير مغزي فقال : ولكن تصديق الذي بين يديه وهو إشارة إلى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق بما في التوراة وسائر الكتب الإلهية والصفة الثالثة:قوله"زتفصيل كل شيء"وفيه قولان:

المراد تفصيل كل شيء من واقعة يوسف عليه السلام مع أبيه وإخوته.

أنه عائد إلى كل القرآن قوله:"ما فرطنا في الكتاب من شيء فإنه جعل هذا الوصف وصفا لكل القرآن أليق من جعله وصفا لقصة يوسف وحدها) ثم يؤكد الدكتور

1- د/أحمد عامر ,المعاني الثانية في الأسلوب القرآني من كتاب ج الخامس الفخر الرازي ص 246

2- المرجع السابق ص 247-248.

فتحي عامر أسباب رفضه القول بلأسطورة في القرآن قائلا:ونحن لن نرفض القول بالأسطورة في القرآن حبا في الرفض أو الجدل ولكن تقديسا للحقيقة التي يجب أن تكون قائمة على أسس وطيدة من المنطق والواقع والتاريخ لا على أدلة هي أو من خيوط العنكبوت وخاصة في مجال الدراسات القرآنية أما القول بوجود المثل[2] وبالقرآن ليس تاريخ يعني بترتيب الوقائع الحوادث وتسلسلها بل هو كتاب ديني يعني بالفرض الأسمى وهو العقيدة التي تتمثل في عبادة الله والإيمان به وبرسله وباليوم الآخر...[3] والقرآن لا يعتبر شعرا كما أنه ليس نشرا والقصة القرآنية ليست عملا فنيا مستقلا بذاته.

بل هي إحدى وسائله في الدعوة والتبليغ والتعليم.

ويظل القرآن مصدرا ومرجعا مفتوحا للأدباء والمنظرين والعلماء والباحثين بفتح أمامهم معالم وآفاق جديدة لا تنصب إذا(يعد القرآن الكريم راقدا مهما للشعر العربي المعاصر فقد استطاعت فئة من الشعراء المعاصرين أن تقتبس من القرآن صياغات جديدة لم يعرفها الشعراء من قبل.ومشكلة التعبير ...تدفع الشعراء إلى خلق رموز جديدة وبعث أساطير قديمة واقتحام أرض مجهولة واستعارة لغة دينية وآيات قرآنية وتضمين معاني الوحي بلغة تحاكية وصياغة تؤاخية وإن لم تبلغ نشؤه ويمكن القول إن عناصر كثيرة في الشكل والصياغة قد استمدها الشعراء من القرآن الكريم...).

أسلوب القصة في الكتب السماوية:

لقد تميزت قصة يوسف في الرواية الكتابية كما يسميها المفكر مالك بن نبي أو في الكتاب المقدس بالسرد التاريخي والأسلوب لغوي جاف (ومن هنا ندرك أن لغة القصة في القرآن بالتركيز والإشارة الخاطفة مع وضوح الفكرة وسهولة المأخذ والدقة التامة في إنتقاء الألفاظ الموحية المؤثرة وتجنب

3 د/عبد الحميد حيدة "الإتجاه الجديد في الشعر العربي المعاصر "مؤسسة نوفل-لبنان –ط الأولى 1980 (رسالة دكتورة)ص66

4 سورة يوسف الآية 111.

موشتي الألفاظ إلى جانب تسلسل العبارات والجودة في صياغتها فهي في القرآن تهدف إلى عن طريق المضمون والمغزى وفي الكتب المقدسة تهدف إلى التأثير عن طريق الإيطار أو الشكل)والقصة القرآنية ليست عملا فنيا مستقلا بذاته بل هي إحدى وسائله في الدعوة والتبليغ والتعليم (...ولقد كان في القصة القرآنية على صور وأشكال (أي الحوار)فقد يكون على صورة حوار ذاتي بين الشخص وعقله وقلبه كما في قصة إبراهيم وقد يكون بين شخصين كما في حوار إبراهيم وقد يكون بين شخصين كما في حوار إبراهيم مع أبيه أو قومه.

وقد يكون بين الشخصية وعنصر آخر كالجن أو الطير أو الشيطان ....وبالحوار المباشر حينا وغير المباشر حينا أحيانا والمتسلسل المتساوق الذي لا يترك أورا وإلا وتحدث به والمنقطع الذي يترك بعض الفجوات للقارئ أو السامع ليملأها من طبيعة تفكيره كانت تجري القصة القرآنية)[1]

وكان أسلوب الحوار في القصة القرآنية هو الأداة الفنية التي تحرك المشهد وتنقلها إلى الملتقى مفعمة بالحركة والانفعال ولقد خصص المفكر ـ مالك بن نبي ـ في كتابه الظاهرة القرآنية والرواية الكتابية توصل فيها إلى نتائج علمية واضحة من بينها : روحانية لنص القرآني ويرجع ذلك إلى أسلوب الرفيع والبليغ وثانيا :مبالغة الرواية الكتابية في وصف الشخصيات المصرية الوثنية بأوصاف عبرانية فالسجان يتحدث بصفة موحدا[2] وفي قسم الروايا في القصة يرتسم رمز بالجماعة الجماعة في الصورة أقل أجلدة فعبارة التوراة هي: "فابتلعت السنابل الجياد "[3] أما في الرواية القرآنية فإنها تعقبها فحسب [4] وأخيرا فإن (حل) عقدة القصة يحمل طابع السرد التاريخي في الرواية الكتابية فهو يشتمل في الفصول الأخيرة التي أثرنا حذفها كما تتجنب الإطالة المصلة على تفاصيل مادية عن استقرار العبرانيين في مصر [5]

---

1. د/بكري الشيخ أمين ـ التعليم الفني في القرآن ص 223

2- مالك بن نبي ـ التوراة الفصل التاسع والتلاتون جملة 24ص252

3- المرجع السابق الرواية الكاثو اللبكية تقول:السنابل حياد تلتهم إلخ...ص253

4- أنظر جدول التفاصيل القرآنية في قصة يوسف المرجع السابق ص250-251

5- المرجع السابق ص253

ثم يعقب مالك بن نبي بأن (حل) في الرواية القرأنية يدور حول الشخصية المحورية عندما تختم الحدث بالانتصار [1] ورفع ابوية على العرش وخروا له سجدا وقال: يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن ربي إذا أخرجني من السجن و جاء بكم من البدو من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخواتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم

الزمن في القصة:

القص هو أكثر الأنواع الأدبية ارتباطا بالزمن إذا يعد سريانا نابعنا له وتستشهد فاطمة الحاجي بقول سيزا قاسم إذا كان الأدب يعتبر فنا زمنيا وإذا صنفنا الفنون إلى زمنية ومكانية فإن القص هو ألا أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن)فالزمن مسؤول في تحضير الجو النفسي العام لإستعاب ظروف القصة وأبعدها.

الشخصية وهي ترى حسب حبيرار جنيت أنه من المستحيل إهمال العنصر الزمني الذي ينظم عملية السرد فأي قصة تفرض نقطة إنطلاق زمنية ما منل الإشارة إلى تاريخ أو ما يشبه أو ما يعادله فهذه ال'شارة تساعد على تطور الحكي إذ أن معظم القصص التي تتمتع بالتجربة الفنية العالمية لا تعبأ بالعمل التاريخي في حد ذاته بقدر ما تهتم بالجوانب الإنسانية العامة التي يمكنها أن تحدث في كل مكان وزمان النمن من أنه في القصة تحقيق عنصر التسويق والإيقاع وقد ظهرت أولا الدراسات الزمن في العشرينيات من هذا القرن على يد الشكل نبين الروس.

أقسام الزمن :أ-الزمن النحوي

ب-الزمن الصرفي [2]

1- المرجع السابق ص253

2- سورة يوسف100/12-المرجع السابق ص253

القصة في التراث العربي:

ترى يمين العين (أن العرب القدامى نظريات تهتم ركزت على المعاني من حيث هو المرجع الموروث فعمود الشعر عندهم نص على مطابقة الدال ومدلولها (المعان)ولقد أهملت جمالية المكان الذي يمثل في صورة الشعر العربي إذا نظر إليها كعلاقة خارجية (اعتبر المكان مجرد إطار زمني وهكذا لم توضع دلالات الحنين التي تألف بها الشاعر موضوع تقديم جمالي أو لم تعتبر عنصر من عناصر شعرية هذا الشعر[1].

إذا اعتبر الوقوف على الأطلال مجرد مدخل إلى أغراض أخرى لعم أن المكان هذا فضاء زمني معيش ومتغير وجمالية بهذا المعني هي جمالية الاختلاف بين الشباب والتحول.

حين لا يرد الحدنا السردي إلا مصحوبا بكل محدداته و إحداثياته وكل قصة تفسر نقطة انطلاق زمنية ونقطة اندماج في المكان بذكر اسمه أو موقعه الجغرافي يحمل على الاعتقاد بحقيقة التخيل لأنه يزهد القارئ في إشارة الأسئلة حوله وتركيز هذا الحدث من نقطة غير قابلة للرؤية فلا تزيد الأوصاف على ان تصيب في العقد أو تحضير الإنشاه في مجال ثانوي فلا يرى القارئ مكان الحدث إنما يرى أثره فلا يحمي المكان إلا ليمكن القارئ أن يقرأ خارجه [2].

طبيعة الحدث في السرد القصصي القرآني:

يقع الحدث في السرد القصصي القرآني في أغلب الأمم على شاكلتين أواقع مألوف اعتاد الناس مثلها ودرجوا على رؤية ظنونها تصير إلى أخرى غير مألوفة تخرق الناموس وتجرى على غير سنن وتجعل نصيبهم أحاديث وعبر

1- ينظر سيام قطوس استراتيجيان القراءة والتأصيل والإجراء النقدي دار الكندي لتوزيع والنشر الأردن 1998ص32

2- طول محمد البنية السردية في قصص القرآن .ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر 1991.ص15(الحدث)في اللغة :هو وقوع شيء لم يكن حدث أمر أي وقع أنظر لبن منظور لسان العرب ح ,وإصدار بيروت ص191 والحدث في الإصلاح النقدي يعني تركيب الأفعال أي تسلسلها وترابطها إقرأ أحمد زكي كمال دراسات في النقد العربي دار الأندلس ط,ح 1980ص59 .

ب)- أعمال تبدأ بالرؤيا ثم تجرى على وتيرة من صنف ما جرت عليه الأولى فقد تصل إلى غايتها بتحقيق الرؤيا حيث تتوافر العبرة ويصل الشك في البني إلى مستقر من اليقين [1] وتندرج قصة يوسف في النموذج الثاني (ب)بحيث تبدأ بالرؤية رآها يوسف ثم يقصها على والده يعقوب عليهم السلام إذ يعقب الدكتور خالد أبو جندي على هذه البداية المثيرة إن هذه الرؤية كانت بؤرة لإثارة المشاعر المتعارضة إذ زادت من حب يعقوب ليوسف عليهم السلام الأمر الذي ترتب عليه التخطيط للمكيدة تفتح القصة الإفتتاحية فريدة يتحرك فيها الأسلوب السردي المباشر يتمثل في عبارة"نحن نقص عليه أحسن القصص بما أوحينا عليك هذا القرآن "الآية الثالثة من سورة يوسف تكون لها وظيفة تنسيقية لتربط بين البداية[2].

أما الرؤيا نهي ترد في القرآن فقط بمعنى الرؤية الصادقة التي يلقي فيها الله سبحانه وتعالى إلى أنبيائه ورسله وغيرهم من الناس يوحي أو إلهام معين أو يخبرهم إلى التفسير النفسي والديني(الروكيا)نجد من راح يفسرها تفسيرا فلسفيا غامضا كما اتضح لنا ذلك في كتاب فصوص الحكم لإبنعربي والذي علق عليه د/أبو العلا عفيفي إذا جاء في النص التاسع بعنوان حكمة ذوريه في كلمة يوسفية ....وهذا القص خصصه ابن عربي للبحث في عالم المثال ويتصل بالقوة الخيالية للإنسان ويصبغ المسألة صبغة ميتافيزيقية فيعلق بالمراد من الصورة المرئية المثالية[3] نجد في الآية الخامسة ردا من (يعقوب)على ما رآه (يوسف)سردي تحذيري (متقدم)وهذا نادر في الأدب العربي كتقنية جديدة يكون السامع والقارئ طرفا مشركا فيها قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين ثم يأتي تدخل السارد (الله) مباشرة بأسلوب سردي أيضا هي"لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)آية [4] من سورة يوسف

1- المرجع السابق ص15

2- الجانب الفني في القصة القرآنية دار الشباب باتنة الجزائر ص149

3- فاطمة سالم الحاج –الزمن في الرواية الليبية-الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع الإعلام ط 2001 ص28

4- د/محمد عثمان نجاتي القرآن وعلم النفس ,دار الشروق 1985 الطبعة الثانية (منقصة)

والنهاية هي حركة السرد الدائري للقصة التي تبدأ برؤية وتنتهي بتأويلها يجسدها"نحن نقص"السارد المتواري " "الكلمة " لإبلاغ رسالة دعوية تربوية وإنسانية تشد القارئ أو المستمع للانتباه[1].

5-إفساح المجال للشخصية الرئيسية (يوسف)ليتحدث عن نفسه لتشكل (الرؤيا)نسيج الحوار القصصي فتصبح المحرك الجوهري للأحداث التي تساهم ايجابا وسلبا في بناء الشخصية النامية في الآية الرابعة من الصورة إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت إحدى عشر كوكبا الشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين"

والجمع بين هذه الأشكال السردية يرتجى إلى أعلى ذروة حيث إن ذلك ممكن للسارد من أن يدخل نفسه الإشكالية النص المسرود وهو المتحدث.

ثم اشترك الشخصية المتحدث عنها ثم بعد ذلك أو أثناء ذلك اشتراك المتحدث إليه وهو الملتقى في الوقت ذاته[2]

وأسلوب السرد في الآية الرابعة يسجل الحوار الذي يشكل عقدة الحدث بعرض هذه الرؤية من يوسف على أبيه يعقوب ينتج هذا الحوار نسيج القصة في تسلسلها وتعقدها ثم انفراج عقدها[3].

ويذكر القرآن "أحلام ورؤيا وأضعان الأحلام هي الأحلام المختلطة المظطربة الغامضة[1] ولعل القرآن حينما ذكر أصفات الأحلام كان يشير إلى جميع أنواع الأحلام التي تناولها علماء النفس بالبحث والتفسير.

وكان تدخل السارد (الله سبحانه)بهذه العبارة "لقد كان في يوسف وإخوته..."[4]

1- طول محمد البنية السردية في القصص القرآني ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص20 1991

2- د/عبد الله مرتاض ألف ليلة وليلة (تحليل سيمياني تفكيكي لحمال بغداد)ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص89 1993

3- المرجع نفسه ص90

4- سليمان عشراني –الخطاب القرآني مقارنة وصفية لحماية السرد القرآني –ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1998ص63

تدخل حكيم بصيغة فنية متناسقة مع الفقرات الآتية من المشاهد الدرامية الحزينة لفعل (الكيد ليوسف)بعامل الغيرة التي كان الطرف الخفي فيها (الشيطان)فيمتد الحوار بين الإخوة وأنفسهم ,كم الإخوة مع والدهم –يعقوب-ثم يعقوب وأبنائه ثم تدخل آخر للسارد في عبارتين ليتتجدد المشهد المقبل في أحدو عشرة فقرة يتجسد فيها فعل(القول) وحركة (المجيء)بأكثرية (قالوا، قال قائل، قالوا يا أبانا،أرسله معنا، قال إني، قالو، فلماذا ذهبوا و جاؤوا، قالوا،و جاؤوا)[1]

جاء الأسلوب السردي بصيغة الفعل الماضي المتحقق والواقع.

والأسلوب القرآني كما نعلم يأتي بصفة إعجازية يحتمل الصدق و لا يحتمل الكذب .

والظرف الزمني الذي اختاره إخوة يوسف لتنفيذ المكيدة مثل:على ما أسلفنا ,إذ يقول تعالى :"و جاؤوا أباهم عشاءا يبكون، قالوا:يا أبانا إنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب "الآية 16.

فلقد ورد الظرف "عشاء"في-حادثة-المكيدة وهو يحمل صفتين:[2]

صفة إشارية تدل على الزمن المادي الذي احتضن حادثة المكيدة ,وصفة إيحائية توحي إلى إبعاد قد تظهر من وراء اللفظ التصريحي المدخول لوقوع الحدث بالفعل ,ولتوقع حدوثه ,ذلك أن هذا الميقات من الليل ساعد على أداء الفعل تحت جنح غسقه,دون أن يعلم أحد من أمره المكيدة شيئا "لو كانوا صادقين فيما أخبروا ,لسارعوا إلى أبيهم بالحدث في وقته لأن مثل هذا الحدث لا يسكت عنه لحظة"[3].

1- المرجع نفسه ص90

2- عائشة عبد الرحمان"التفسير البياني في القرآن الكريم ",ج1,مكتبة الدراسات الأدبية –دار المعارف,ط6,ص-80

3- صبحي الصالح "مباحث علوم القرآن "الفصل الرابع ,دار الملايين:بيروت,ط7, 1972,ص11.

وأمام هذه السلسلة الطويلة من الحوار السردي في حلقات من المشاهد المتناسقة والمتنامية تتعدد فيها الشخصيات وتتغير الأحداث لتصبح فيها الشخصية النامية (تعود بالفعل وتوجه الحدث) بعدما تتوفر لذيها خصائص ومميزات فكرية ومادية وروحية .

فتكون نهاية القصة الطويلة بين حلقات الصراع الطويل في سن فتوة و شباعه القض يتعرض لمراودة امرأة العزيز له ثم السجن ، ثم يفسر رؤيا السجينين والملك ، ليخرج من السجن بعد بيان برأته ليجمع شمل أسرته الذي عرف تشتتا مريرا ليصبح ملك على خزائن مصر كلها .

تكون الغاية بتأويل الرؤيا "... وقال : يأبتي هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاءكم من البدو من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي ... " أية 100 .

و ختتم الفص بأن (القصص من الوسائل الهامة التي إستخدمها القرآن أيضا لإشارة الدافع للتعلم وذلك لما تثيره من التشويق لدى المستمعين ولما :" يأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاءكم من البدو من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي ... ") 100 من سورة يوسف .

و إختتم هذا الفصل بأن القصص من الوسائل الهامة التي أستخدمها القرآن أيضا لإشارة الدافع للتعلم وذلك لما تثيره من التشويق لدى المستمعين ولما تستدعيه من الاشارة إلى تتبع الأحداث التي تروي هذه القصة .

وكان القرآن أيضا دافعا للتعلم وذلك لما تشره من التشويق لدى المستمعين ولما تستدعيه من الانتباه إلى تتبع الأحداث التي تروى في القصة . وكان القرآن يبث في ثنايا القصص ما يريد أن يبلغه الناس من أغراض دينية متعلقة بالعقائد، أو من عبر وحكم يريد أن يعلمها لهم ... لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ...) يوسف أية – 111 [1] "

1- محمد عثمان نجاتي : القران وعلم النفس دار الشروق 1985 . ط الثانية ص 160

سورة يوسف مكية ، وإذ تكون هذه الموسيقى الداخلية المتميزة التي تعبق بها أنفاس السورة ." وقد كان لها جرسها المتميز في أعناق أساطير اللغة والبلاغة من أهل مكة ممن كان القرآن الكريم يقرع أذانهم ويصرع نفوسهم ويعلمهم على التفكير والتدبر و اتخاذ المواقف إيمانا أو عنادا وإذا تكون النظرة التذوقية لجمال الفنية القصصية في هذا المقام الكريم من خلال المقاييس البلاغية ألا وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال " صورة يوسف عليه السلام مكية ، وإذا كون هذه الموسيقى الداخلية المتميزة التي تعبق الصورة ، أو كما يقول الإمام " عبد القادر الجربان " : (وبقد ما يكون المرء من التهاب الطبع بقدر ما يتغلغل في الأسرار وبقدر ما تكون له الحقبة يقوى بها على الغامض ويصل بها إلى الخفي) [1]

إن الجانب التذوقي لقصة يوسف يشدك بقوة من بداية القصة حتى نهايتها ، وذلك لما تميزت به فقراتها من المشاهد الفنية المشوقة ظلت تستوقف القارئ فتحدث في مشاعره تفاعلا قويا من أحداث القصة عكس مأساة يوسف والتي سبق أن أشرنا إليها في الفصل الأول (المحاور الكبرى في قصة يوسف) وفي هذا الفصل نحاول ان نجمع تلك الوقفات الفنية الجمالية التي استوقفتنا خلال تذوقنا لقصة يوسف سواء مع الشخصيات أو مع الأحداث والفجوات التي كان يتجاوزها النص القرآني وعناصر أخرى[2] .

جغرافية السرد في قصة يوسف :

من أبرز ما ميز السرد في هذه القصة هو الإحاطة والشمول (وصف خفايا الأمور ورصد كل ظواهر البيئة الحضارية اللازمة للغاية العامة من القصة في كل البادية الشام ومصر وتابع التصوير الدقيق خلاص يوسف إلى خزائن مصر [3]، فنحن ندهش عندما يوقفنا السرد على هذين المكانين البادية ومصر .

1- المرجع السابق " دلائل الإعجاز ط 2 (مكتبة القاهرة 1961 م ص 293-296)

2- د. سليمان عشرائي مرجع سابق الذكر ص 161 .

3- ينظر صلاح عبد الفتاح الخالدي المرجع السابق ص 52 .

إيحاء باقتراب التحقق النهائي في الرؤيا في مجمع الملك حيث العرش مجال انتظاري لدفع

الأبوين تحدثا بفضلهما وإبراز لهما والإنابة وندم الأخوة واستغفارهم لذنوبهم التي ارتكبوها في حق يوسف استقرار العائلة بمصر ومنه في مجاليهما في الرفع والجر توق يع مكاني خاتم لإتمام النغمة باكتمال [1] حدود خارطة البيئة وقد خازت الأهل يوسف .

" يأبي هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاءكم من البدو من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين إخوتي ، إن ربي لطيف لما يشاء أنه هو العليم الحكيم " أية 100 من سورة يوسف . فالحيز بصورة عامة ، كان المثابة التي تشهد الأزمة وانفراجها في حياة شخصية هذه القصة ، فحادثة إسقاطه في حادثة الجب (البئر) ودخول مصر (الاسترقاء) وإيوائه إلى البيت العزيز ودخوله السجن كلها أحداث مؤلمة .[2] ناله فيها الأذى لكنها ألت في النهاية إلى انفراج شمله الله له محققا له التمكين في الأرض كما أو عزت الرؤيا يوم كان صبيا ومنه نقول أن يعقوب فسر الرؤية بالرفع أي أنه سوف يكون له شأن كبير وأوصاه بعدم اختيار الإخوة مخافة الكيد منه ومن ثم تطور الأحداث إلى تأمر الإخوة ورميه في الحب وبالتالي انخفاض درجته ومرتبته لأنه أصبح يباع في السوق النخاسة وشرائه لمصر إلى بيت العزيز الذي أكرم مثواه لولا تلك المراودة الفتي قامت بها امرأة العزيز مما أدى إلى سجنه أين تعلم تأويل الأحاديث و الرؤى وفي الأخير إتمام النعمة عليه حيث أصبح أمين على خزائن مصر وهذه المرتبة لم تذكر مرورا أو فخرا وإنما ليتحدث يوسف وأهله بالنعمة وليشد ذكرى الآخرة فهي خير مستقر ومقاما من الدنيا الفانية

1- سورة يوسف الاية 100.

2- سليمان عشراتي"الخطاب القرآني"مقارنة وصفية لحماية السرد القرآني .ديوان المطبوعات الخامسة –الجزائر 1998ص149

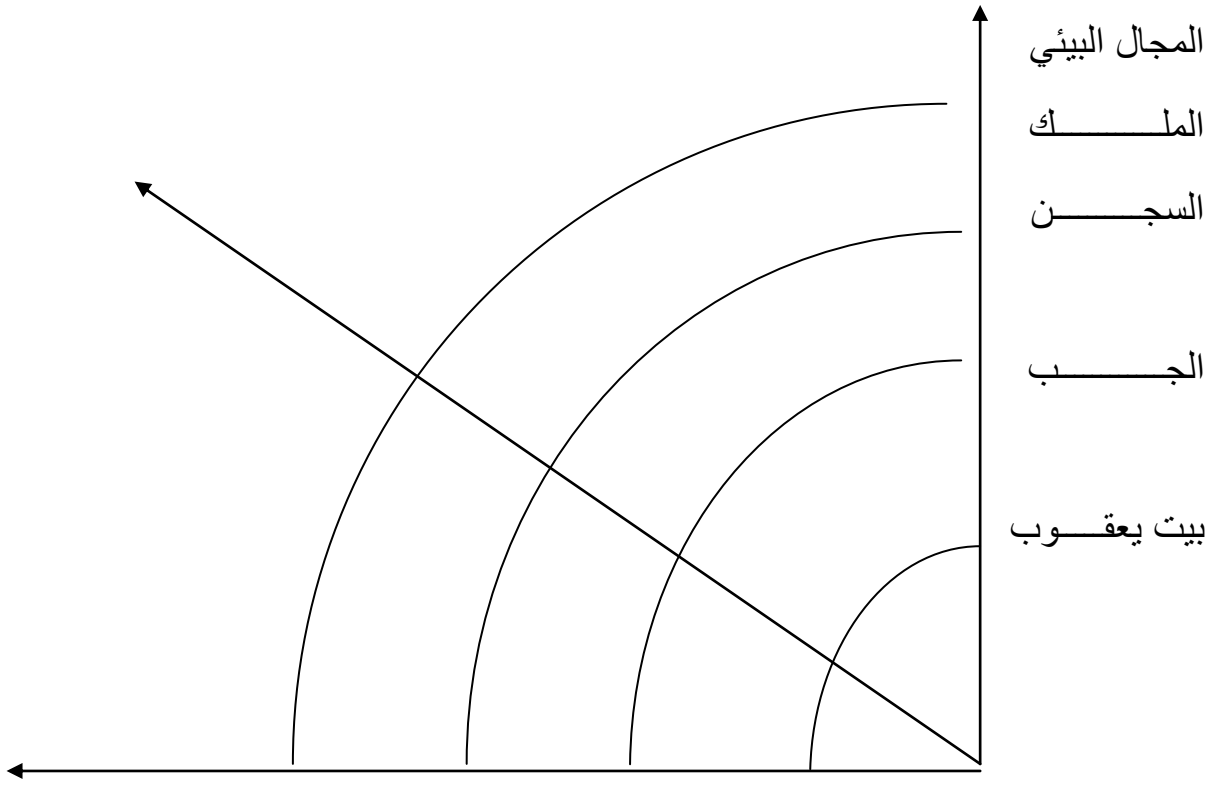

نشأة المرحلة الكيدية المرحلة الإجتماعية المرحلة التعليمية المرحلة

تنامي لزمن هجري واتساع

وكما ابتعض الزمن الممحو من السرد ابتعض المكان أيضا لأنه مكان لفرغ من حديثة ومواقفة وصار مجرد نقطة جغرافية إنتقالي كالطريق الذي مر به يوسف عندما أخرج من البئر إلى أن وصل إلى مصر وذلك وصف السوق أي بيع فيه وكذلك الطريق العبوري الذي بات مريرة مكانية طرية ألفها الاخوة بين البادية ومصر فإبتعضت لأنها بيئة لصيقة بالبيئة الكلية وهي ارض المجاعة مصر وما يتفرع عنها من أقطاع تماسية تحيط بها .[1]

1 ينظر محمد أمين خلادي المرجع السابق ص149

فلا طائل من ذكر الطريق وملابستها إذ لو ذكرت في السرد لأنست القارئ اللمحة المكانية الحديثة فكان حذفها ذكرا معجزا[1].

وما كان للمكانية الهجرية أن تتوسع وتتشعب و تتنامي إلى ما وصلت إليه لو تلك المحن والمنح التي نتجت عن التدافعية الرؤياوية للأحداث فما هجر يوسف من بيت أبيه إلى بداية لتحقن الرؤيا صادقة وكانت محنته الأولى هي كيد إخوته بأن يرمى في الحب حيث تلقي الوحي تأييدا فذاق محنة التغريب ولقد أخبر بنوايا إخوته دون أن يشعروا به وأرسل الله عليه السكينة والطمأنينة وبشره بفرج قريب أي نال محنة إلهية [1]وأوحينا إليه لتنبأ بهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون يوسف الآية 15 التي تزود بها في مسيرته المقبلة فهذه الحنة كانت بمثابة الشحن الإلهامي الذي تحصن به لتصدي في وجه المحن ثم يلتقط من البئر من طرف السيارة فلقد انتقل من البداية إلى مصر ليباع بثمن بخس في السوق النخاسة كعبد لبيت العزيز وهذه هي المحنة الثانية التي تلقاها سيدنا يوسف ثم التمكين له بالمصر ثم اعتبره العزيز والدالة (لنتخذه ولدا)لكن فليقلد ذلك المكان إلى موقع يبتلي فيه بالمراودة الكيد الثاني من طرف امرأة العزيز فينتصر على هذه المراودة لأنه فضل السجن كمكان تطهيري إنجاني أثره على خسارة الدنيا والآخرة فكان السجن قاعدة جغرافية ثرية تعلم فيها عقيدة التوحيد وتأويل الأحاديث وهذا من قبيل الشحن الرباني الذي أراه الآيات العظمى وجعل له من محنة السجن الظاهرية نعمة تؤهله إلى إعلاء النبوة وتوطيد حيويتها في خدمة المملكة و الرعية و تدبير الخزائن التي علقت بها مصائر الناس من بدو وحضر وهذا هو التمكين الثاني

1- نظر محمد أمين خلادي المرجع السابق ص149

ويرى أمين خلادي أن العملية التهجيرية قامت على مسوغات الرؤية كمؤشر على مكثف حدد المعالم المكانية وهي في كل تمد درجتها الزمانية متوطدة العلاقة بيوسف الفاعل المرس وبإخوته منها القطبان المحوران في تصدد الزمة و تشعباتها التي انزاحت بالأحداث من مكان لآخر ويمكن أن نعلم ذلك كل في الشكل التالي[1].

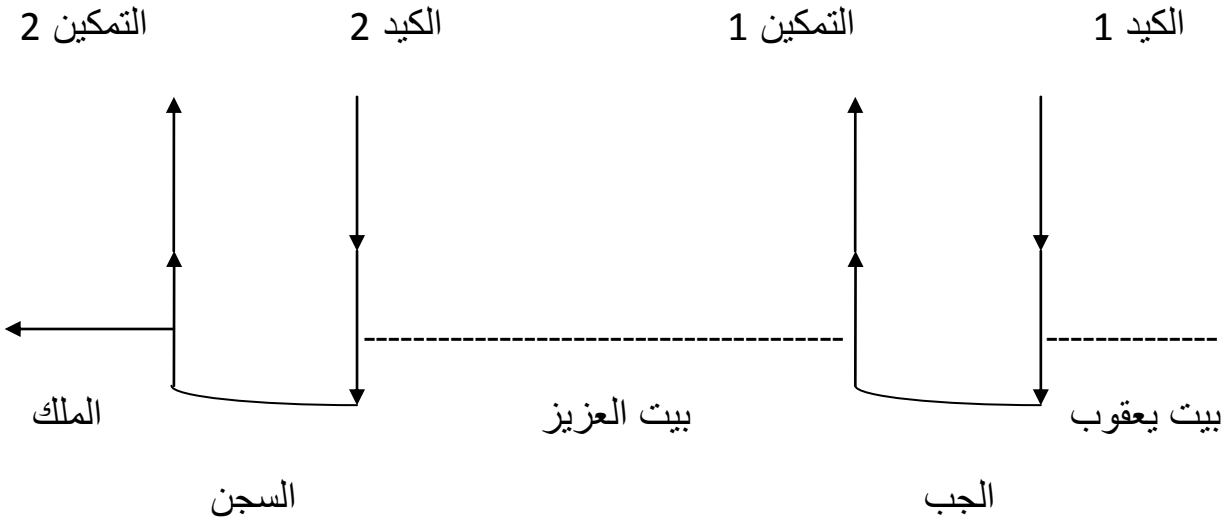

التمكين الإلاهي ليوسف و معاملة الأقربين

1 محمد أمين خالدي الإعجاز الفني في القصة القرآنية رسالة مقدمة لنيل درجة ,جامعة وهران 1999-2000 ص 142

وجوارحه مشغولة بمشاهدة الجمال الأزلي عما يتألم له الجسد أو يشغل الدهن بأمور دنيوية...)[1].

البعد الجمالي النفسي:

إذ لك طبيعة الصراع النفسي داخل قصة يوسف لا يتم إلا بفهم طبيعة الشخصيات الثانوية والمساعدة وطبيعة الأحداث المتغيرة وهذه أداة الأسلوب السردي الذي يمد القارئ بحل شفرات النص القرآني القصصي بعبارات فنية بلاغية تنبع من قداسة النص وقدرة صاحبه اللغوية الفريدة العجيبة المتميزة عن سائر النصوص البشرية.

تتجلى طبيعة بعض النفسيات من خلال أسلوب السرد الذي يمدنا بتقنياته اللغوية "البليغة"البلاغية عن نوايا نفوس خفية مبيتة تلتقي فيها صفات الخبث والمكر والحيل ويصرح القرآن بما أضمره الإخوة ."إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة..."إن هذا التصريح ثم عن نفوس دموية لأحب إلى أبينا"

قائلة لها ذرائها حقا من حب الاستئثار بالأب ,لكنها تستوي في اختزان فكرة القتل أو الاتجاه إليه . أو على الأقل الطرح أرضا وهو قريب من القتل بالنسبة ليوسف الصغير...)[2]

البعد الجمالي الإجتماعي :

رغم أن البعد الاجتماعي الذي احتضن قصة يوسف –عليه السلام-,يظهر بمشاهد مأساوية حزينة لم تعرف فيها الشخصية الرئيسية دواعي الاستقرار والأمان ,إلا أننا وجدنا على أن هذا البعد الدرامي في حياة (البطل)يوسف النبي الكريم ,كانت له إشراقات جمالية مضيئة يمكن حصرها بحكم التذوق الذاتي في:

1- المرجع السابق ص90

2- البنية السردية في القصص القرآني ص77.

"الحب" كان رائدا جماليا مهما في المكان والزمان بحيث انتقل يوسف من فلسطين مكان ولادته وطفولته وأسرته إلى العيش في قصر العزيز بمصر هذا التحول من البدو إلى المدينة إن صح التعبير أحدث بدوره تحول في شخصية يوسف .ليخوض صراعا شديدا بين النفس والأهواء بين الناس ومسؤولية إدارة خزائن مصر,...ولكن هذا الانفصال عن والده وإخوته الذي اكتملت فيه شخصيته نبيا,وزيرا,ورجولة تقوده الرؤيا لتحقق خطوة خطوة,فيجمع شمل أسرته بعد انتصار رائع على النفس و القولية وتحقق البراءة فيلتم أفراد أسرته من جديد في مصر بتحقق الرؤيا[1].

نفس التصوير اتضح لي بالنسبة للبعد الآخر (السجن)من الضيق إلى الفرج، كان عاملا مساعدا في إثبات براءة يوسف بواسطة تفسيره لرؤيا الملك.

البعد الجمالي للشخصيات الثانوية:

يبدو لنا الجانب الجمالي في الشخصيات الثانوية في قصة يوسف كعوامل مساعدة للشخصيات المحورية حتى تخرجها من الأزمات التي تعترض نموها وتطورها في مواجهة الحدث.

من هذه الشخصيات المساعدة والتي واجهها يوسف في مراحله الانتقالية من الجب إلى القصر ثم دخوله السجن وخروجه منه...هي:

أ-السيارة الذين اشتروه وباعوه بمصر.

ب- العزيز وزوجته (زليخا) اللذين بيانه في القصر.

ج- النسوة اللائي قطعن أيديهن وشهدن براءته.

د- السجينين اللذين فسر لهما الرؤيا (ساقي الخمر والخباز).

1سورة يوسف آية 5.

ه- الملك الذي حقق في تهمة يوسف وأثبت براءته بشهادة النسوة وزوجة العزيز (زوليخا)

و- الشاهد الذي حقق في طريقة تمزق قميص يوسف.

ومن العناصر البارزة التي تجسدت بعمق سواء ظاهرة أو خفية والتي سوف أركز عليها كبعد جمالي حدد بؤرة الصراع وسجل بقوة انتصار يوسف وصدقه وصدق نبوته :

أولا: الشيطان : وقد تنبه إلى كيده الخفي "يعقوب"-يعقوب عليه السلام-حيث استشعر تواجده بحدسه وعلمه الذي وهبه الله إليه إذ قال معقبا على الرؤيا التي قصها عليه يوسف الصبي. قال:"يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا .إن الشيطان للإنسان عدو مبين"[1].

وقول يعقوب:"فيكيدوا لك كيدا "إشارة إلى ما يتوجه يعقوب بفراسته ,وألمعيته من إخوة يوسف تجاه يوسف ولو كان هذا التوجس عابرا لما كان يعقوب قد وصفه في مثل هذا التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي . وكان حين أردف يعقوب قائلا :إن الشيطان للإنسان عدو مبين "قد بين أن أعمال الكيد التي يقوم بها الناس –قريبهم وبعيدهم –تجاه الحق والصدق والتقوى إنما الشيطان في كل هو "بطلها" الحقيقي وهذه علاقة بالغة الدلالة لرصد بطولات الشيطان في كل مواطن التأزم والكيد في القصة وفي تسلسل الحوادث.

وهكذا يبرز الشيطان من وراء الستار بطلا في الأدوار الآتية:

1- "إذا قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إلى أبانا لفي ظلال مبين ".إذن يكون الشيطان قد دخل إليهم من خلال افتراق الأمهات ووجود الضرائر ...فالشيطان هو بطل هذه المقولة.

1-سورة يوسف آية 8

2-"وجاء على قميصه بدم كذب قال:بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون"[1].

إذن فالشيطان قد ركب هذه المرة النفوس فسول لها أمرا,إذن فبطل هذا اللغز الذي يسعى إلى الإنكشاف هو الشيطان.

ولما كان يعقوب قد استعان على الشيطان بالله، فإذن المتذوق للبناء القصصي ,فنيا لا يعوزه كبير ذكاء أن يتبين أن يعقوب لن يختفي من مسلسل الأحداث ما لم تنتصر استعانته أولا...

3-قال:"قال:سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العلي الحكيم"[2].

...وإذن فضياع الأخ من الأب وضياع يوسف إنما هما وجهان لعملة واحدة أو أقل هي خطة في البداية والنهاية وبطلها الشيطان.

4-قصة مراودة يوسف عن نفسه وملاحقته من قبل امرأة العزيز...وهذه القصة كان حتما بطلها الشيطان إذ إن **"الخط البياني"** لحياة امرأة العزيز وطريقة تفكيرها وموقفها الاجتماعي ومركزها الوظيفي، قد كان يؤذن أن تكون المرأة ودودة،رحيمة،زكية القلب والروح...ولكن الانكسار الحاد المفاجئ في هذا الخط يشير حتما إلى "أصابع"خفية قد كانت وراء هذا الإنكسار[3].

...وهما هو الشيطان يعلن عن نفسه إذ جاز التعبير في اعتراف امرأة العزيز"الكامل"أن النفس أمارة بالسوء"...الآن حصحص الحق أن راودته عن النفس أنه لمن الصادقين، ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كبيد الخائنين"[4].

1-سورة يوسف آية 18.

2 - سورة يوسف آية 83.

3- سيد قطب –المنهج الفني الإسلامي-دار الشروق بيروت.

4- سورة يوسف آية51-52.

5- وهما هو الشيطان يخوض حربا "بطولية"يحول فيها دون تذكر يوسف في مواطن النغمة"وقال الذي ظن أنه ناج منهما أذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر

ربه فلبث من السجن بضع سنين "[1].وإذن يكون الشيطان قد نجح ...من ثغرة النسيان.

6-ثم ها هو يوسف ذاته يعلن انكشاف هذا الدور الذي قام به الشيطان ونهاية خطواته ووساوسه وبطولاته (الشيطان)."وقد أحسن بي إذا أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي..."[2].

ثانيا: القميص" لقد كان للقميص دورا إيجابيا في البناء الجمالي لقصة يوسف تحددت فاعلية في موقفين:

أ- موقف دفاعي لتهمة ألصقتها (زليجا) بيوسف فكان شاهدا قويا على كذبها ومدعما لصدق يوسف و برائته

ب- والموقف الثاني يتجلى في بيان كيد إخوة يوسف له عندما جاءوا على قميصه بدم كذب اتضحت ليعقوب نوابا أبنائه السيئة كانت مكبوتة وكشفتها كذبتهم الشنعاء فادعوا أن الذنب أكله.

- أما الموقف الثالث يتمثل في صدق فراسة يعقوب وصدق توكله على الله سبحانه وتعالى عندما ساقه الإلهام الربا في أن يحس برائحة "قميص"يوسف عبر مسافة طويلة وكان القميص وسيلة مبسرة بقدومه على يوسف ورد بصره إليه وأول ما يطالعنا القميص هو في قوله تعالى :"وجاءوا على قميصه بدم كذب قال:بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون"[3].

1-سورة يوسف آية 18.
2-سورة يوسف آية 100
3- سورة يوسف آية18.

فهل دوران لفظة القميص أربع مرات في هذا السياق لا تعكس أهمية منطوقة بهذا القميص ؟إن الذي يعرف أساليب العرب في القول لايعوزه كبير اجتهاد كي يتبين الدور البطولي الذي خاضه القميص في هذه المعركة الجانبية وخرج القميص هذه المرة أيضا"منتصرا"فهل كان القميص الذي قد من دبرهذه المرة هو قميص النبوة صاحب السر.

وأما الثانية فقوله تعالى :"اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا واتوني بأهلكم أجمعين"[1],ثم قوله تعالى :"فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا"[٥],حين يتحدث يوسف عن القميص هذا فإنه يتحدث بصفة بالغة الخصوصية .فهو يقول"اذهبوا بقميصي هذا"وقوله قميصي بإضافة القميص إلى ياء المتكلم ثم تأكيده باسم الإشارة لهذا لهو دلالة كبيرة على أن هذا القميص يقوم الآن

بدور "البطولة " وحسم النصر لصالح معركة الحق ولو لم يكن هذا القميص هو قميص النبوة ما كان يوسف ليتحدث بمثل هذه الثقة بالنتيجة في مثل قوله"فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا".

إن جمال القصة ليبدو بالغ الروعة في حدود البيئة الإنسانية وإمكاناتها[1].

القاصرة وفي حدود الأقصى وأعمال العقل ...ترتبا للنتائج، وربط الحوادث ومواجهة الاحتمالات وفي ظلال هذا التحرك يكون ثمة نشوة لجر الشيطان إلى مثل هذه المعارك الخاسرة التي يسقط فيها معسكر الشرب بالكامل .فالنساء يتبرأن أن يكون يوسف خالق قواعد الشرف والفضيلة و امرأة العزيز تعلن "حصحصة"الحق ,والإخوة يعلنون خطأهم مرة أمام يوسف ومرة أمام يعقوب ويطلبون المغفرة وفي ظلال هذا التحرك يكون ثمة نشوة بعودة القميص، هذه العودة "الظافرة"بعد خوض ثلاث معارك فيها مثل هذه المكايدة [2].

1- سورة يوسف آية93.

2- سورة يوسف آية96.

ثالثا الرقم سبعة:

والرقم 7 قد قام بدوره ببطولة هامشية في تطوير الأحداث ورسم الموازاة وإشاعة جو الترقب .

1-قال تعالى:"وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات ..."[1]

2-قال تعالى:"يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات "

قال:"تزرعون سبع سنين دأبا فما حصرتم فدوره في سنبلة إلى قليلا مما تأكلون ,ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم إلا قليلا مما يحصدون " [2] .

ومن خلال هذه الموازاة وحتى تكتمل عناصر "البطولة " للعدد 7 في هذه القصة التاريخية ,فإن المتذوق لأساليب النسق القرآني الكريم ليحس إحساسا"راجحا"أن الأعداد التي قصد (بصيغة المجهول)تعميتها هي سبعة [3].

من خلال تتبعنا لحلقات قصة يوسف عليه السلام ووقفاتنا على عناصرها الفنية المحبكة التي رسم خيوطها الأسلوب السردي بمختلف وظائفه وأشكاله نستخلص بأن البناء الفني للقصة قام على عقدة الرؤيا التي تفرعت عنها عقدات مصفرة ,إن صح التعبير –فرؤيا يوسف عليه السلام هي العقدة الرئيسية وتفسير يوسف لرؤيا السجينين ورؤيا الملك هي العقدات الثانوية المساعدة على فك رموز الرؤيا الكبرى التي رآها يوسف ساهمت في حل خيوطها الشخصيات الثانوية والعناصر الفنية التي تخلت معمارية القصة وساهمت في بناء أحداثها الكبرى، كا (الجب،القميص،الرقم7...).

1-سيد قطب-التصوير الفني في القرآن دار الشروق ط 1982.

2-نفس المرجع ص37-40.

3-سورة يوسف آية43.

كما لا يفوتنا أن نشير إلى تميز أسلوب السرد بالتناسق الإيقاعي من الجانب الصوتي يعكس جمالية الإعجاز القرآني بإيقاع نغماته الداخلية التي تحدث في نفسية القارئ تجاوبا ذوقيا رفيعا وقويا مع القصص القرآني.

ولقد شهدنا هذا النغم القرآني بأسلوب حزين بالغ التأثير في قصة يوسف وبخاصة في لحقات الدعاء والمناجاة بين يوسف لربه ,يوسف ونفسه ويعقوب مع ربه ...(والدعاء بطبيعته ضرب من النشيد الصاعد إلى الله ولا يحلو وقعه في نفس الضارع المبتهل إلا أن تكون ألفاظه منتقاة...

وإذا تذكرنا أن ابتهال الصالحين كثير في القرآن رغبا و رهبا، طمعا أو خوفا استعجالا لخير أو دفعا لشر، أدركنا سرا من أسرار التنغيم ينبعث من كل مقطع في كتاب الله ...)[3]

"رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين "[4].

بهذا الدعاء المتجرد الدافئ الذي يصوغه الأسلوب القرآني على لسان يوسف يسده الستار على المشهد الأخير من قصة يوسف في صورة اعتراف وشكر من نبي (عبد ضعيف)لسيد خالق منعم، يلتمس منه يوسف ختاما ظاهرا صحيحا على نهج الأنبياء السابقين امتداد للنسل الطيب بنفس الدعاء الذي كان يدعو به الأنبياء والمرسلين وفاء لملة الخليل إبراهيم وتخليدا للعقيدة الإسلامية في كل زمان ومكان.

كيف يتجلى لنا البناء اللفظي بواسطة أسلوب السرد داخل قصة يوسف

أول ما يمكن أن نشير إليه في هرم البناء الفني لمعمارية قصة يوسف، هو عنصر اللغة (لأن قصة يوسف عليه السلام مقصود بها وضع الأمور في إطارها الصحيح وشد

1- د/صبحي الصالح –مباحث في علوم القرآن الفصل الرابع-دار الملايين –بيروت لبنان ص7 1972ص337.
2- سورة يوسف آية101.

الخيوط إلى حبكة واحدة متجانسة تحت مظلة الفكر الإسلامي والرؤية الإسلامية...[1]

بحيث يعلق أبو الفداء ابن كثير على السورة (وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس فلهذا أنزل أشرف الكتب على أشرف بقاع الأرض وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان فكمل من كل الوجوه ولهذا قال الله تعالى :"نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن "[2].

البعد الجمالي لشخصية يوسف :

يتجلى لنا في محبة يعقوب ليوسف من خلال الأسلوب السردي داخل القصة والذي كان المحور الأساسي في إبعاد يوسف عن يعقوب بفعل غيرة إخوته ومحاولة قتله وإلقائه في الجب (حتى يخلو لهم وجه أبيهم)ومن خلال امتداد الأسلوب أيضا نكتشف حسن مجال يوسف ضمنا راودته (زليخا)عن نفسه وأيضا عند ابنها نسوة مصر برأيه يوسف فقطعن أيديهن .

ويحضرني هذا مقطع فني جميل في كتاب "عبد المنعم قنديل"يتحدث عن شخصية رابعة العدوية المتصوفة .وقد كانت تقيم حلقات فكرية أدبية مع أكبر علماء البصرة.

وكان الموضوع الذي طرحته "رابعة العدوية"هو الإخلاص فكان كل عالم يعطي تصوره الخاص عن مفهوم الإخلاص عنده .إلا أن "رابعة"فاجأتهم بتصورها

المعرفي الدقيق مقتبسة من القرآن الكريم ومن قصة يوسف بالخصوص، إذ قالت: "ليس بصادق في دعواه من لم يئس الضرب في مشاهدة مولاه ,مثل نسوة مصر الآئي نسين آلام أيديهن لما رأين وجه يوسف "[3].

ثم يعقب عبد المنعم قنديل على هذا التصور المعرفي (أما رابعة فإنها ترى أن المؤمن وهو يعيش في معية الله لا يشعر بوقع المصيبة لأن حواسه

1-محمد علي أبو حمدة المرجع السابق ص24.
2-دار القرآن الكريم –بيروت-1981 المجلد الثاني ص239.
3-رابعة العدوية عذراء البصرة البتول –دار الشباب الجزائر ص89.

الخاتمة

بعد هذه المسيرة الاستقرائية للأسلوب السردي في قصة سيدنا يوسف نخلص إلى أن:

الأسلوب السردي في القصة سجل أكبر مساحة لمشاهد حية سيقت أساسا من أجل العبرة و الاعتداء بأبعاد جمالية مختلفة تجسدت بنماذج متفاوتة من شخصيات محورية و ثانوية حسب الأحداث و عليه يمكننا أن نحصر النتائج فيمايلي:

1)- قصة يوسف تصدر القرآن الكريم، كنموذج في متميز لـ "أحسن القصص" لهذا كانت النموذج القصصي القرآني المنتقي في جل الدراسات القديمة و الحديثة.

2)- تضمنت قصة يوسف تقنيات القص الحديث، بدور جمالية و فلسفية و فنية و لسانية.

3)- تعدد الدراسات حول قصة يوسف تحمل الدارس على تحمل لكافة النص القرآني و تعدد مفاتيح قراءته و تذوقه و تعدد جوانب الدراسة لنصوصه تزيده أهمية و إقبالا للباحثين كل يريد الوصول إلى الامتلاء و الاكتفاء الفكري والفني و النص بذلك يتسع لجميع الدارسين يقنعهم أفاق البحث أمامهم بدون انقطاع و لا انطواء.

4)- "الدعاء" كان له سحر خفي في نفسية الشخصيات المحورية "يوسف" كيف يتجلى أسلوب الدعاء و المناجاة في قصة سيدنا يوسف عليه السلام؟ أسئلة عديدة قد تكون مفاتيح لدراسات أخرى مستقبلية.

المصادر والمراجع

المصادر:

1- القرآن الكريم.

2- ابن حزم الأندلسي طوق الحمامة في الألفة والآلاف، حققه صلاح الدين القاسمي – الدار التونسية للنشر- المؤسسة الوطنية للكتاب تونس 1985.

3- ابن منظور، لسان العرب، ج13، دار صادر – بيروت.

4- تفسير ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – دار الأندلس ج4 بيروت لبنان.

المراجع:

التهامي نقرة "سيكولوجية القصة في القرآن "-جامعة الجزائر –الشركة الوطنية للتوزيع 1971.

الزمنشري "أساس البلاغة "تحقيق عبد الرحيم محمود –دار المعرفة –بيروت لبنان

أمين الخولي "فن القول" دار الفكر العربي.

بكري الشيخ أمين "التعبير الفني في القرآن "دار الشروق ط4 1980.

خالد أبو جندي "الجانب الفني في القصة القرآنية منهجها وأسس بنائها "

سمير المرزوقي وجميل شاكر "مدخل إلى نظرة القصة "ديوان المطبوعات الجامعة الجزائر.

سيد قطب "التصوير الفني في القرآن" دار الشروق ط 7 1982.

سيد قطب "في ظلال القرآن "دار الشروق المجلد الرابع ط 10 1982.بيروت –لبنان –القاهرة .

صبحي الصالح "مباحث في علوم القرآن "دار الملايين –بيروت –ط 1972.

طرائق التحليل السردي الأدبي –نصوص مترجمة –منشورات اتحاد الكتاب المغرب ,سلسلة ملفات 1992 ط1 الرباط 1992.

طول محمد "البنية السردية في القصص القرآني "ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991.

عائشة عبد الرحمان "الشخصية الإسلامية "دار العلم للملايين ط3 بيروت 1980.

عبد الحميد جيدة "الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر "مؤسسة نوفل –لبنان –ط1 1976.

عبد السلام المسدي "الأسلوب والأسلوبية ط2.

عبد الفتاح الخالدي "نظرية التصوير الفني عند سيد قطب "شركة الشهاب الجزائر.

عبد الملك مرتاض "ألف ليلة وليلة "تحليل سليمان تفكيكي لحكاية جمال بغداد ,ديوان المطبوعات الجامعي .

عبد المنعم قنديل "رابعة العدوية عذراء البصرة البتول"شركة الشهاب –الجزائر- 1987.

فتحي أحمد عامر "المعاني الثانية في الأسلوب القرآني "منشأة المعارف الإسكندرية 1976.

مالك ابن تبي "الظاهرة القرآنية "ترجمة عبد الصبور شاهين ,دار الفكر الجزائر ,الملكية للإعلام والنشر والتوزيع ط4 1987 الجزائر .

محمد الصالح صديق "البيان في علوم القرآن " المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989.

محمد الغزالي "كيف نتعامل مع القرآن "دار الانتفاضة للنشر الجزائر .

محمد حسن مصطفى "الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية "تقديم حسن عون مؤسسة شباب الجامعة.

محمد عثمان نجاتي "القرآن وعلم النفس "دار الشروق –ط 2-1985.

محمد علي أبو حمدة "في التذوق الجمالي لسورة يوسف"عين ميلة الجزائر.

محمد قطب"منهج الفن الإسلامي "دار الشروق بيروت .

محي الدين ابن عربي والتعليقات عليه بقلم أبو العلا عفيفي –قصوص الحكم –منشورات اتحاد الكتاب –المغرب-بيروت لبنان ط 2 ج1 1980.

الفهرس

الإهداء ص1

تحية وشكر ص2س

المقدمة

الفصل الأول المحاور الكبرى في قصة يوسف عليه السلام

مفهوم السرد ص5

المحاور الكبرى في قصة يوسف عليه السلام. ص9

أ-الرؤيا ص14

ب-الجب ص20

ج-المراودة ص24

د-السجن ص26

ه-تأويل الرؤيا في السجن 27

و-البراءة ص29

ز-الإمارة ص29

ح-جمع الشمل ص30

ط- تأويل الرؤيا ص32

الفصل الثاني:الأسلوب السردي في قصة يوسف بين النظرية والتعليق

-مفهوم القصة وأهميتها ص36

-أركان القصة (الشخصيات ,الحوار.الحدث,الزمان والمكان) ص38

الفصل الثالث: جماليات الأسلوب السردي في قصة سيدنا يوسف

01 عنصر اللغة
ص43

02 البعد الجمالي النفسي

03 البعد الجمالي الاجتماعي
ص44

04 البعد الجمالي للشخصيات الثانوية
ص45

أولا : الشيطان ص48

ثانيــا: القصص ص43

ثالثــا: رقم سبعة ص53

رابعا: التناسق الإيقاعي ص55

الخاتمة. ص62

المراجع والمصادر. ص63

الفهرس. ص66